سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (60) | 11 / 11 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

السوريون يتحدون الموت بإصرارهم على الحياة

■ سعاد يوسف

جنوب العاصمة دمشق | حيي الميدان والزاهرة

من اللافت جداً وفي ظل الموت اليومي الذي يعيشه السوريون ويحاصرهم من كل مكان، رغبتهم الجامحة في الحياة وازدياد هذه الرغبة مع ارتفاع وتيرة العنف والقتل الذي يحصد مئات الأرواح كل يوم.

على باب أحد البيوت في سراقب خطت الجملة "كلما حاصرنا الموت احترفنا الحياة". وفي أحد شوارع حي القابون سيارة محترقة جراء القصف، لم يبق منها سوى هيكل حديدي متفحم وقد قام شباب الحي بالكتابة عليه "سوف نبقى هنا"..

ولا يزال السوريون في مختلف المدن والبلدات مصرين على الخروج في مظاهرات يوم الجمعة والتي تحولت إلى تقليد يعلنون فيه عن تحديهم للنظام وبأنهم أولاً وأخيراً خرجوا بهدف إسقاطه. فيوم الجمعة الفائت ورغم القصف المتواصل على مدن الغوطة الغربية خرج "من تبقى" من سكان عربين ودوما وغيرها في مظاهرات لا يتجاوز عددها عشرات الأشخاص إلا أنهم عنونوها بـ"مظاهرات حاشدة" ربما رغبة منهم في مواجهة الموت بتهكم قد يبعده عنهم..

أما في قلب العاصمة دمشق والذي تحول مؤخراً إلى ثكنة أمنية مقطعة الأوصال بسبب الحواجز التي تنتشر في جميع الشوارع الرئيسية والكثير من الشوارع الفرعية، دمشق التي يعمل النظام جاهداً وبكل قوته كي تبقى تحت قبضته لأنه يعلم أنه ما إن يخسرها فسوف يكون سقوطه مدوياً، في قلب دمشق تختلف الحياة كثيراً عن ريفها وعن باقي المدن السورية. أغلب شباب دمشق فقدوا عملهم، الكثير منهم هاجر بحثاً عن مستقبل أفضل أو عن أمان افتقدوه، ومن بقي فيها لا يزال يصر على تمسكه بالحياة ورغبته فيها رغم كل ما يحدث.

الجامعات والمدارس

تقول "ر" وهي طالبة جامعية: "رغم إيماني بأن علينا أن نُضرب وأن إضرابنا سيساهم في إسقاط النظام، إلا أنني أحس بأن أكبر تحد له هو إصرارنا على الخروج من منازلنا والذهاب إلى الجامعة والدراسة. لن يوقفنا النظام عن طلب العلم فنحن جيل سوريا الذي سيبني ويصلح كل هذا الدمار الذي خلفه النظام في المستقبل. "

أما "ف" وهي والدة لطفلين من قدسيا، فقد تدمر جزء من منزلهم جراء الحملة العسكرية الأخيرة كما أن المدرسة التي اعتادوا الذهاب إليها دمرت بالكامل. هم الآن يذهبون كل يوم إلى مدرسة في مشروع دمر "فتعليمهم من أهم أولوياتي الآن أنا وزوجي وأحرص على ألا يفوتهم أي يوم دوام في المدرسة".

شباب دمشق والسفر

مئات الشباب غادروا دمشق في الأشهر الأخيرة، إما هرباً من ملاحقات أمنية أو خوفاً من اضطرارهم للالتحاق بالخدمة العسكرية، وبعضهم فضل البحث عن عمل خارج البلاد ومنهم من لم يعد قادراً على الاستمرار على وقع الحياة في المدينة. "س" موظفة في شركة خاصة أتيحت لها الكثير من الفرص للسفر والعمل خارج سوريا إلا أنها ترفض ذلك بشكل قاطع: "منذ أربعة أشهر كتب أحدهم على حائط ما "الوطن ليس فندقاً نغادره حين تسوء الخدمة.. سوف نبقى هنا".. وهذا هو تماماً ما أحس به.. عرض على الكثير من الأصدقاء السفر والعمل خارجاً إلا أنني في كل مرة أقول لهم "لما نخلص بسافر".. "نخلص" قد تعني ننتهي من النظام أو ننتهي نحن كأشخاص بأن نموت.. كثيراً ما تصيبني انهيارات نفسية فأبدأ بالصراخ أو البكاء عند سماع صوت القصف أو الطيران، إلا أن الملفت في الموضوع هو أنني أخاف أن تخرج قذيفة من دبابة ما دون أن أسمع صوتها، فكثيراً ما أحرص على الجلوس بصمت مساء في منزلي كي أستطيع سماع جميع الأصوات.. أذهب كل يوم إلى عملي وأحرص على رؤية أصدقائي قدر الإمكان، وفي كل مرة نقول لبعضنا بين مزاح وجد: "قد تكون هي المرة الأخيرة التي نرى بعضنا فيها".. أصبح لدي اهتمام بالحياة من نوع غريب فقد أصبحت أهتم بمظهري وثيابي أكثر من ذي قبل وأعيش مع الأشخاص الذي أحبهم بكل ما أملكه من مشاعر"..

مقاهي دمشق ومسارحها

وعلى جانب آخر، يقول "غ" وهو أستاذ جامعي: "لا زلت كل يوم أذهب إلى المقهى المفضل لدي وسط دمشق كي أحتسي القهوة وأجلس مع أصدقائي. لن أحمل السلاح ولا قدرة لي على مواجهة النظام سوى بأفكاري وكلماتي.. قد يكون مجيئي إلى هنا كل يوم ترفاً، إلا أن اعتيادنا على أصوات القصف ورغبتنا في الحياة رغم كل ما يحدث قد تكون آلية دفاع نطورها يوماً بعد يوم كي نستطيع الاستمرار في الحياة. "

أما مسارح دمشق والتي كانت تستقطب الكثير من محبي الفن على مدار السنة تكاد تخلو الآن من العروض المسرحية. لكن بعض الشباب والممثلين لا زالوا يصرون على العمل وتقديم العروض. "قد يبدو الوقت غير ملائم لذلك لكن المسرح بالنسبة إلي يعني الحياة"، يقول "م" وهو ممثل مسرحي. "لم لا تنتجون عملاً تتحدثون فيه عن الثورة وعن وضع البلد؟ يقول لنا كثيرون. لا أريد. أريد أن أمثل عملاً مسرحياً يتحدث عني، عن الحياة الاعتيادية. أحس أن ذلك هو تحد أكبر بالنسبة إلينا. أن نبقى قادرين على التفكير بالأمور العادية التي كدنا أن ننساها وننسى كيف كنا نعيشها منذ سنتين. "

مجزرة كفر عويد
شاهدة على المجازر بسوريا

تبدو قرية كفر عويد في ريف إدلب بسوريا -مثلها مثل العديد من القرى التي انتفضت في بداية الثورة- مطالبة برحيل الرئيس بشار الأسد، لكن هذه القرية تتمتع بشيء من الخصوصية. ومن يزور المنطقة يتوقف حتما عند مقبرة الشهداء ووادي بدمايا الذي شهد مجزرة عظيمة في بداية الثورة راح ضحيتها 111 شخصا، الأمر الذي يعده الأهالي عنوانا "على جرم النظام" بحق الشعب الأعزل، وتجسيدا للانخراط في الثورة.

ولا يصعب على من يزور القرية التعرف على موقفها من الثورة، فالعديد ممن التقيناهم من شيوخ وشباب وأطفال ونساء يتباهون بأن كفر عويد كانت من أوائل المناطق السورية التي انتفضت باحتجاجات سلمية ضد نظام الأسد، حتى لا يكاد يخلو بيت فيها من قتيل أو مصاب أو معتقل.

والقرية التي لا يتجاوز عدد سكانها 15 ألفا، يعتبرها أهلها من "أكثر مَن قدّم ضحايا في ملحمة الثورة السورية" التي تكاد تتم شهرها العشرين، كما انخرط العديد من شبابها في العمل المسلح.

وقد دمّر النظام العديد من المنازل والمباني بما فيها المساجد التي لحق التدمير التام باثنين منها على الأقل. كما أن المتجول يسمع بين ساعة وأخرى أصوات أزيز الطائرات والمروحيات الحربية التي تقصف بشكل عشوائي، إضافة إلى دوي انفجار القذائف بمختلف أنواعها.

والمتتبع للشعارات المكتوبة على أسوار وجدران المباني في القرية، يجد أنها ملئت بعبارات ناقمة على نظام دمشق وتصفه بأسوأ العبارات. كما كتبت شعارات تتفاخر بما قدمته كفر عويد "من شهداء" لصالح الثورة، وتؤكد أنها منيعة على قوات الجيش النظامي.

مقبرة الشهداء

ظهرت مقبرة شهداء كفر عويد إثر رفض الجيش النظامي -الذي كان حينها يحكم سيطرته على القرية- بدفن قتلى مجزرة وادي بدمايا في مقبرة القرية المعروفة. فاضطر أهل القرية لنقل جثث الضحايا لخارجها لدفن العشرات منهم، وقرروا إطلاق اسم الشهداء على المقبرة وأن تخصص لدفن من يسقط مقتولا في الثورة.

ويروي أهالي القرية تفاصيل المجزرة التي وقعت في العشرين من كانون الأول 2011، حيث يحكي ناجون أن العديد من الشباب الناشط في المظاهرات السلمية من كفر عويد وغيرها من القرى المجاورة وعددهم نحو 115 فروا باتجاه وادي بدمايا خشية اعتقالهم من قبل قوات الجيش التي اقتحمت القرية والقرى المجاورة.

وتفيد الشهادات بأنه عندما علم الجيش بذلك فرض حصارا على الوادي من جميع الجهات، ثم بادر بإطلاق النار من مختلف أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة وبشكل عشوائي دون أن يعرض على المحاصرين الاستسلام، واستمرت قوات الجيش بإطلاق النار من الساعة الثامنة صباحا وحتى غروب الشمس.

وادي الدماء

والوادي الذي حرصنا على زيارته يبعد عدة كيلومترات عن القرى ويتسم بالوعورة وكثرة الصخور ووجود بعض المغارات، وسمي بهذا الاسم -كما أفاد العديد من أهل المنطقة- نسبة إلى كثرة الدماء التي جرت فيه إثر مجزرة عظيمة وقعت فيه منذ مئات السنين.

وأوضح حسين غريبة - وهو أحد الناجين من المجزرة - أن نحو 15 من المحاصرين رفعوا الرايات البيضاء وسلموا أنفسهم للجيش، فكان مصيرهم القتل والتمثيل بجثثهم. وذكر أنه فقد شقيقه في هذه المجزرة مع أربعة من أبناء عمومته، كما أصيب عدة إصابات إحداها في يده والأخرى في رجله والثالثة بوجهه.

ولفت غريبة - وهو متزوج وأب لطفل - إلى أن الجيش عمد بعد الإطلاق الكثيف للنيران إلى إلقاء قنابل غاز سامة فقد الوعي على أثرها، ولم يعد إلى وعيه إلا وأهل القرية يجلون الجثث وكانوا يظنونه قد فارق الحياة.

وإثر الإصابة اضطر أهله لنقله إلى مستشفى بتركيا للعلاج، ولكن بعد تأخر استمر أسبوعا خشية أن يقبض عليه في الحواجز الأمنية. ورغم عدم شفائه الكامل فإنه انخرط في صفوف الثورة المسلحة.

أما رضوان غريبة ابن عم حسين فقد قُتل شقيقاه في المجزرة وأصيب بعدة إصابات في ذراعه وفخذه وصدره وبطنه. وبلهجة حازمة يؤكد استمراره في الثورة "حتى تحقيق النصر".

وللتدليل على عشوائية النظام "وإجرامه" ذكر رضوان أن راعيا تصادف وجوده بطرف الوادي وقت حصار الناشطين ورفع يده مستسلما للجيش على اعتبار أن ليس له علاقة بالناشطين، إلا أن الجيش قابل الراعي بعدة رصاصات أردته قتيلا.

ناج ثالث من المجزرة اسمه محمد الزهر، وهو من قرية مجاورة ينشط حاليا مع الثوار، وأوضح أن شقيقه الأصغر قتل في المجزرة، وأنه تعرض لعدة إصابات في كلتا يديه وفي رجله اليمنى.

ومما ذكره الزهر أن بعضا ممن قتل لم يكن جراء اختراق الرصاص أو الشظايا لأجسادهم، وإنما اختناقا بغاز سام أطلقه الجيش عليهم.

وبعد مغادرتنا للمكان بدقائق، سمعنا دوي إنفجارات أفادنا القرويون بأن عدة قذائف سقطت على الوادي.

أوجاع وطن

حلم

■ يوسف أبو خضور

لا أعرف من أين خرجت و كيف وصلت إلى هذا الشارع الذي يشبه شوارع دمشق، و كان أحد أصدقائي القدامى قادماً باتجاهي، كنت أريد أن أسأله متى خرج من سوريا و كيف وصل إلى هنا، لكن لعابي جف في حلقي عندما باغتني هو بالسؤال: متى رجعت.. ؟

نظرت برعب حولي، وجدت نفسي و إياه أمام مدرستنا القديمة و الطلاب يخرجون من المدرسة و يهتفون بلغة لم أفهمها،

قال صديقي: هناك شبيحة، تصرف بعفوية، تعال..

عندما مررت من أمام الشبيحة كانت ركبي تقصف خوفاً، و خُيل لي أن أحدهم سمع صوت الخوف داخلي، نظر إلي تلك النظرة التي توحي بأنه كشفني..

صاح صديقي: أركض..

كنت أركض بسرعة و كان صديقي يركض معي و يسألني أسئلة عادية من قبيل: هل تزوجت، ماذا تعمل.. ؟!

قلت له و أنفاسي تتقطع: أين نذهب.. ؟

قال: هناك « عرس» قريب لأحد الشباب، لنذهب إليه..

وصلنا إلى أحد البيوت التي أظن أني أعرفها، اختبأنا داخل السور و كنت أرى عيون الشبيحة فقط تبحث عني و كان الخوف يأكل قلبي..

و كان رجل عجوز يحمل شمعة، سألني: أنت الميكانيكي.. ؟

السيارة في الكراج اذهب لإصلاحها، عندما خرجت من أسفل السيارة وجدت الشبيحة بانتظاري و كانوا من الجنسين و معظمهم من الفنانين و المثقفين الذين علقت صورهم بذاكرتي..

فجأة بدأ العرس، و وجدت نفسي بجانب صديقي العريس، الذي همست له بأن المكان ملئ بالشبيحة، كان يربت على فخذي و يقول: معك سلاح.. ؟

تذكرت أن معي مسدساً كنت قد اشتريته لابني، و كان لعبة..

قلت: نعم لكن ليس معي طلقات، و كنت احاول التنفس و لا أستطيع..

كان صديقي العريس يشير بيديه بلا مبالاة لأحد الشباب الذين يحملون «المايك» و كلما أشار له كان الشاب يقول على المايك: العريس سيدمر الرئيس..

كنت أقول في نفسي: هذا لا يحدث إنه حلم، أنا لست هنا، هذا حلم و سيمر، أنا بعيد عن سوريا و لا أشترك مع أهلها بمصيرهم، تخليت عن المصير المشترك منذ زمن..

كنت خائفاً و نادماً، لا أرى إلا عيون الشبيحة تحاصرني،

بدأ إطلاق النار و كان العريس أول من بدأ بعد أن صرخ: النسوان لجوا..

كنت أزحف على التراب و عيون الشبيحة تراقبني..

كنت أصرخ بدون صوت: دلوني على مؤتمر، أريد أقرب مؤتمر لألجأ إليه، أريد أن أتأكد أنني لست في سوريا..

كنت نادماً على كل كلمة كتبتها أو قلتها، و كانت عيون الشبيحة تسمع ما أقول..

وجدت نفسي أبكي بلا صوت في شارع يشبه شوارع المالكي في دمشق و كان مساءً ممطرا، و كنت وحيداً أحاول أن أستيقظ، عندما مرت سيارة تشبه السيارات المتجولة التي تبيع الأشياء، لكنها كانت تبيع السلاح..

أطلت سيدة من إحدى النوافذ و قالت لي: اللّه يرضى عليك، وقفو.. أشرت له فتوقف

أرسلت طفلها إلى السيارة، رأيتها تشير له بيديها و بأصابعها، حمل الولد الكثير من الأسلحة و عاد لأمه، و كان البائع سعيداً..

وجدت نفسي أمام باب بيتي القديم أبحث عن المفتاح في جيبي، لكن يدي علقت في جيبي كنت أشعر بأصابعي تحترق، وشيء ما يسحب يدي عميقاً، و كانت الأبواب تتزايد أمامي و كلها أبواب أعرفها، و كان صوت طلقات و وقع أقدام على السلم، عرفت أنهم الشبيحة جاؤوا لاعتقالي، دارت الدنيا و دار رأسي خوفاً..

استيقظت هنا مرعوباً و بحلق جاف..

في فندق المؤتمر و عند الإفطار كنت أحدث الأصدقاء عن حلمي بالذهاب لسوريا لمشاركة الشباب نضالهم على الأرض، لولا كثرة المشاغل، و الغريب أنني كنت مقتنعاً جداً بكلامي..!

اللاجئين السوريين في لبنان ومصر
معاناة معيشية وإنسانية

لاجئين لبنان

في لبنان ارتفع عدد اللاجئين السوريين، الذين يشكل الأطفال والنساء جزءا كبيرا منهم، وهو ما يشكل عبئا كبيرا على المنظمات التي تقدم لهم المساعدة، خاصة مع التزايد المتواصل للأعداد. فما هي ظروف اللاجئين السوريين في لبنان؟

يأتي أحمد البالغ من العمر سبع سنوات إلى المركز الاجتماعي التابع لمؤسسة الأمل في حارة حريك، وهو حي واقع في الضاحية الجنوبية لبيروت. في هذا المركز يتعلم أحمد العربية والرياضيات والانجليزية. مؤسسة الأمل هي مؤسسة غير حكومية توجد فيها مراكز للصحة والتعليم، أصبحت هذه المراكز تُوفر المساعدة للاجئين السوريين. ينحدر الطفل الخجول من مدينة عمودا الواقعة في شرق سوريا، فقد اضطر أحمد قبل أشهر لترك مدينته برفقة عائلته، ويعيش الآن في العاصمة اللبنانية.

يذهب أحمد إلى مدرسة حكومية لبنانية، غير أن مستواه الدراسي أقل من مستوى أقرانه اللبنانيين، بل إن اللغات الأجنبية هي جديدة بالنسبة له، الأمر الذي ينطبق على تلاميذ سوريين آخرين، كما يهتم المركز بحوالي 30 طفلا سورياً تتراوح أعمارهم بين الرابعة والثانية عشر. أما الدروس فيتم تمويلها من مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة.

إيمان الخطيب تعمل كمرشدة اجتماعية في مؤسسة الأمل، وتقول إن الاستجابة كانت ضعيفة في البداية، وتتابع: "أما الآن فيتزايد عدد الأطفال، الذين يأتون من بيروت وضواحيها".

الخوف من التسجيل

إدماج الأطفال السوريين في النظام التعليمي اللبناني ما هو إلا أحد التحديات المرفوعة أمام الدولة اللبنانية. فمنذ حزيران الماضي تضاعف عدد اللاجئين السوريين ثلاث مرات، يقيم غالبيتهم في شمال وشرق البلاد، لكن يتزايد عدد الوافدين على بيروت وعلى الجنوب أيضاً.

في مطلع تشرين الثاني قدمت مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة الإحصائيات الأولى لعدد اللاجئين: أكثر من 77 ألف سُجّلوا لدى مكتب مساعدة اللاجئين، بالإضافة إلى 30 ألف آخرين ينتظرون موعد التسجيل. ويتلقى اللاجئون المسجلون الرعاية الصحية والمساعدات الغذائية وإعانات مالية على الإيجار. غير أن الرقم الحقيقي لعدد اللاجئين السوريين في لبنان يبقى طي الغموض، فالبعض يخاف من التسجيل، والبعض الآخر لا يعلم أساساً بوجود مفوضية للاجئين.

وضع إنساني صعب

أم منذر وعائلتها على سبيل المثال لا توجد أسماؤهم في أي سجلات للاجئين، فقد هربت أم منذر بأطفالها السبعة من درعا السورية والتحقت بزوجها الذي يعمل منذ سنوات في لبنان. تعيش الأسرة المكونة من تسعة أفراد في شقة من غرفتين في حي صبرا الواقع في الجنوب الغربي من بيروت، وهو الحي الذي يعتبر أحد أكثر الأحياء اكتظاظاً بالسكان وأكثرهم فقراً، كما أن ثمن الإيجار منخفض في هذا الحي مقارنة بباقي الأحياء.

لا تعلم أم منذر التي تبدو في أواسط الثلاثينات من عمرها، أي شيء عن مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، كما أن أطفالها لا يذهبون إلى المدرسة. أما أكثر ما يقلق أم منذر فهي الرعاية الصحية لأطفالها، فهي لا تستطيع تحمل مصاريف العلاج، كما أنها لم تخرج أبداً من حي صبرا منذ قدومها إلى لبنان.

تبرعات للولادة

نبيلة، مرشدة اجتماعية لا تريد ذكر اسمها بالكامل، تقول إن عدد الأسر السورية التي تقطن في حي صبرا يقدر بـ220 عائلة، وتتابع بالقول: "كل يوم نكتشف أن العدد يزيد، أحيانا بنسبة تقدر بعشر عائلات في اليوم". أحيانا تتلقى نبيلة مكالمات من الأسر التي قدمت حديثاً، إما لطلب فرش ولوازم أخرى أو نساء يائسات يحتجن للمساعدة. كما تحكي المرشدة الاجتماعية عن امرأة سورية كانت في حاجة لإجراء جراحة لولادة قيصرية، وكيف جمع سوريون شباب مبلغ 1000 دولار لإجراء العملية.

تقول نبيلة بغضب: "ينبغي على المسؤولين عن المنظمات الدولية أن يأتوا إلى هنا ويشاهدوا وضع الناس عن قرب". وكشف تقرير صادر في أيلول الماضي عن مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة عن مشاكل كبرى في إيواء اللاجئين السوريين في لبنان. فقد استنفذت أماكن الإقامة الخاصة والمدارس الشاغرة للسكن الجماعي وكذلك الفضاءات الصالحة للسكن، فتمت التوصية بتأجير البنايات الشاغرة، والزيادة في الإعانات المخصصة للإيجار السكني. لكن لتنفيذ هذه التوصيات تبرز الحاجة إلى تمويل إضافي ضروري.

مساكن لا توفر عيشاً كريماً

حتى كامل مهنا مدير مؤسسة الأمل يدعو لمزيد من الجهود، فما قامت به المؤسسات اللبنانية والدولية لحد الآن مهم غير أنه ليس كاف. ويقول عن ذلك: "الشتاء على الأبواب وشروط عيش اللاجئين السوريين صعبة جدا". ويشير مهنا إلى 64 شخصا أقاموا في مسجد في طور البناء في بلدة عرسال شرق لبنان.

ويتابع مهنا بالقول: "لم تكن هناك أي مرافق صحية، غير أنه بالتعاون مع منظمة نمساوية استطعنا توفير الضروري".

كما يقطن الكثير من الناس في أماكن سكن خاص. ويضيف مهنا: "في غرفة واحدة لا تتسع لحوالي 3 أشخاص، يعيش 20 أو30 شخصاً". وإلى نهاية العام تنتظر مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ارتفاعاً في عدد اللاجئين السوريين في لبنان بحوالي 20 ألف لاجئ.

السوريون في مصر
معاناة بين انتظار الحسم وصعوبة العيش

اعتاد الشاب السوري ياسر الغوطاني أن تستوقف لهجته بعض زبائنه وهو يبيع الخضروات والفاكهة بمتجر صغير في مدينة السادس من أكتوبر بجنوب شرق القاهرة.

الغوطاني (26 عاما) الذي فر قبل ثلاثة أشهر مع أسرته من عربين استأجر المتجر بالمشاركة مع احد أصدقائه السوريين سعيا لكسب ما يعينهما على الإنفاق في ظل استمرار الأزمة التي دخلت شهرها التاسع عشر.

وقال الشاب النحيف وهو يشير لسيدة سورية ترتدي معطف المانطو المنتشر ببلاده "تقريبا نصف سكان هذا الشارع سوريون".

ويقول سوريون ونشطاء يشاركون في جهود الإغاثة أن مدينة أكتوبر تستضيف أكبر عدد للسوريين بمصر.

وفر حوالي 340 ألف شخص من سوريا وسجلوا كلاجئين منذ أن تحولت الانتفاضة التي تفجرت ضد الرئيس بشار الأسد في مارس آذار 2011 إلى تمرد مسلح آثار حملات قمع وحشية من جانب قوات الحكومة. ويوجد 1. 2 مليون نازح آخرين داخل سوريا وفقا حوالي 32 ألف شخص في تلك الأحداث.

وتقول المفوضية العليا لشؤون اللاجئين إن نحو 6800 لاجئ سوري سجلوا أنفسهم في دول شمال أفريقيا أغلبهم في مصر بينما تقول الحكومة المصرية أن ما يصل إلى 150 ألف سوري يقيمون داخل البلاد.

وبخلاف أكتوبر يقيم سوريون في أحياء أخرى بالقاهرة علاوة على عدد محدود بمدن الإسكندرية ودمياط وبورسعيد الساحلية وبعض مدن دلتا النيل.

وقال الدكتور محمد خير عبد الهادي خبير القانون والنشط السياسي السوري المقيم بالقاهرة "أغلب من لجأ لمصر يؤيد الثورة التي تحظى بدعم القيادة المصرية".

وأضاف "ذهب أصحاب رؤوس الأموال إلى أحياء أكثر رقيا مثل الرحاب ومصر الجديدة ومدينة نصر أملا في إقامة مشروعات بينما ذهب آخرون لمناطق اقل من حيث تكلفة المعيشة".

ومضى قائلا "نظام الرئيس مرسي يغض الطرف عنا حتى إذا تجاوزنا مدد الإقامة. نلمس رغبة من السلطات في مساعدتنا في محنتنا. يختلف الأمر قليلا عن تعامل السلطات المصرية معنا خلال الفترة التي سبقت تولي مرسي للسلطة حيث كنا نشهد بعض التدقيق".

من جانبه قال المهندس عبد المطلب عمارة رئيس جهاز مدينة 6 أكتوبر إن إدارته مستعدة للنظر فيما قد يقدم إليها من طلبات بشأن مساعدة السوريين المقيمين بالمدينة في حدود ما يتوفر لها من إمكانات لكنه أوضح أن السوريين يأتون للمدينة بشكل فردي ويقيمون فيها كزائرين دون تنسيق مع الجهات الرسمية.

وقبل نحو سبعة أشهر كان يتوافد على مصر سوريون من كافة المناطق لكن مع احتدام القتال في دمشق وريفها ومدينة حلب أصبح اغلب القادمين ينتمون لهذه المناطق.

وداخل منزل يعيش فيه شاب سوري يدعى أبو بكر مع أسرة أخرى هناك منضدة خشبية واحدة وسط غرفة استقبال كبيرة خاوية بينما تغطي بعض الحشايا غرف النوم.

قال أبو بكر الذي تردد كثيرا قبل السماح لرويترز بزيارة البيت "تفكر الأسرة الأخرى في ترك المنزل ولو حدث لذلك سنضطر للانتقال لمسكن آخر أقل تكلفة".

واستطرد "توجد اسر سورية هنا تعيش حياة مترفة وأخرى جاءت ومعها بعض الأموال لكنها لن تتحمل العيش دون عمل لفترة طويلة".

ومع استمرار الأزمة لجأ بعض السوريين للعمل في مصانع وبعض المحال التجارية وشركات خاصة كما يعمل آخرون لدى مستثمرين سوريين بمصر.

ويشكو السوريون من تدني الأجور مقارنة بتكاليف إيجارات المساكن والمعيشة وطول فترات العمل لكنهم يؤكدون أنهم يحصلون على أجور مساوية لتلك التي يتقاضاها نظراؤهم المصريون.

وقال عبد الله رضوان المدير التنفيذي لجمعية بيت العائلة الأهلية بمدينة السادس من أكتوبر وعضو اللجنة الشعبية لنصرة الشعب السوري "أكبر الداعمين للسوريين بأكتوبر هي الجمعية الشرعية الرئيسية حيث وفرت بنايات سكنية كاملة تأوي فيها عددا كبيرا من الأسر السورية علاوة على تقديمها كافة أشكال الدعم اللوجستي من أثاث وغذاء ومساعدات مالية ورعاية صحية لبعض المصابين في الحرب".

وتضم الحملة الشعبية لنصرة الشعب السوري جمعية بيت العائلة والجمعية الشرعية وهي جمعية خيرية إسلامية واتحاد الأطباء العرب ولجنة الإغاثة الإنسانية وجماعة الإخوان المسلمين واللجنة الشعبية بأكتوبر بالإضافة إلى سيدات ورجال مجتمع يساهمون بمساعدات فردية وجماعية.

وحسب بيانات المنظمات الأهلية التي تنسق جهود الإغاثة فإن نحو 600 أسرة سورية تنتشر بأغلب أحياء المدينة بينما يتمركز عدد كبير منها في بنايات تستأجرها الجمعية الشرعية.

وقال الناشط السياسي هشام حجازي وهو أيضا عضو مجلس أمناء الثورة المصرية "إن هيئات المجتمع المدني كلها غالبا تشارك في جهود الإغاثة. دون إصباغ الموضوع بصبغة سياسية إلا أن الإخوان المسلمين يقومون بجهود كبيرة وأيضا الجمعية الشرعية ومجموعة سفراء الخير الشبابية وأيضا منظمات من خلفيات سياسية مختلفة ليبرالية واشتراكية ويسارية وقبطية".

وقال الشيخ عادل الشعراوي رئيس مجلس إدارة مسجد الخلفاء الراشدين التابع للجمعية أن المسجد يستقبل يوميا من عشر إلى عشرين أسرة سورية.

وفي الطابق الأرضي للمسجد يباشر عدد تنظيم جهود الإغاثة بينما تمتلئ بعض الغرف بأجولة الأرز والسكر ومواد غذائية أخرى وأغطية وفرش.

لكن رامي السوري الذي يستخدم اسما مستعارا ينتقد ما يصفه بتقاعس بعض جهات الإغاثة السورية الرئيسية عن توفير مساعدات للاجئين.

وقال السوري الذي يصف نفسه بأنه احد أقدم السوريين في مصر "قمت بتسجيل اسمي في مكتب الإغاثة هنا بالقاهرة منذ أغسطس ولم أتلق حتى اليوم جنيها واحدا". وأضاف انه لولا المساعدات التي تقدمها الجهات المصرية لكانت ظروف اللاجئين أسوأ بكثير.

وفي مساكن عثمان الواقعة على أطراف المدينة وحيث تستأجر الجمعية الشرعية بنايات كاملة لإيواء السوريين وقفت مجموعة من الوافدين الجدد حول نشطاء ينظمون جهود الإغاثة أمام مسجد صغير يرفرف عليه العلم المصري وعلم المعارضة السورية.

وقال سوري مسن انه ترك متاجره وأمواله هربا بأسرته من وطأة القصف في حلب لكنه ورغم كبر سنه يبحث عن عمل للإنفاق على عائلته الكبيرة.

وقال "كنت اعمل في الألمنيوم وأجيد هذه الحرفة. ابحث عن عمل". وتتراص البنايات التي شيدت لمحدودي الدخل على امتداد مسافة طويلة وسط الصحراء في الطرف الجنوبي للمدينة.

وداخل مسكنه يعيش أبو عمار هو وزوجته وأولاده الستة في وحدة تقتصر مساحتها على 40 مترا فقط وتخلو من الأثاث باستثناء بعض الحشايا للنوم.

وقال رضوان إن المدينة تضم نحو ألفي شاب سوري بمراحل التعليم المختلفة أوضاعهم معلقة نظرا لان اغلبهم وصلوا مصر بعد أن فرغت الجامعات من إجراءات قبول الطلاب الجدد.

وأضاف أن ثمة مجموعة من المتطوعين السوريين وعدوا بإقامة مدرسة خاصة بالسوريين لتدريس المناهج السورية لكن جهودهم باءت بالفشل مما فوت على الطلاب فرص الالتحاق بمدارس مصرية.

وتحدث كثيرون عن صعوبة الخروج من بلادهم قائلين أن سلطات المطار الرئيسي بدمشق تفرض قيودا مشددة على الراغبين في المغادرة منها إطالة أمد استخراج الجوازات التي تصل في بعض الأحيان إلى ثلاثة أشهر.

وقال رامي السوري "يطلب مسؤولو المطار في بعض الأحيان من الموظفين الحكوميين الراغبين في الخروج موافقة مكتوبة من الوزير". كما شكا آخرون من كثرة نقاط التفتيش على الطريق الواصل بالمطار.

ورغم الانشغال بتدبير أمورهم في الخارج لا ينقطع اهتمام السوريين بذويهم في الداخل.

ويقول الغوطاني "نعتمد على الفيسبوك للاتصال بأقاربنا خاصة في ظل انقطاع الاتصالات. تمكن نشطاء التنسيقيات من تدبير أجهزة بث متطورة ينقلون بها الأخبار عبر الأقمار الصناعية".

ومضى يقول بنبرة متحدية "سوت الطائرات اغلب مباني عربين لكن لا نبالي. لو لم يبق حجر على حجر في سوريا لن نتراجع عن ثورتنا".

المبادرة الوطنية السورية

أمل جديد بالخلاص

■ ياسر مرزوق

يبقى منطق التاريخ هو الأقسى، ومعه يتساوى السوريون في الخسارة، والكل في المصيدة.. واحتمالات انهيار الجيش الذي لا يزال ثلثاه تقريباً في احتجاز مستمر منذ نحو سنة، تلوح في الأفق، ويتداول السوريون أخباراً عن انتقال عائلات القيادات الأمنية والعسكرية خارج الحدود وإلى روسيا بالتحديد، والاقتصاد على شفا حفرة من النار، والنظام مصرٌ على استكمال التدمير لا أدري أي رغبة مرة، لها عين مغولي، وقهقهة نيرون يوم الحريق، تتملكه. والسوريون شهداء المسيحية الأوائل، الذين كان نيرون يلبسهم الهلاهيل المشتعلة راكضين في المسرح وهم شعل حية، بين ضحك المتفرجين وصخبهم لا يدرون أين يذهبون..

مصرٌ على العمليات المنهجية الواسعة للتدمير والتهجير والنهب، بالإضافة إلى المجازر المبرمجة. ورائحة الفتنة الطائفية التي يستسيغها، خاصة بعد التفجيرات المتكررة في العاصمة.. والإعلام السوري يواصل الهذر، ولكم استهزأت وسائل الإعلام الأميركية بإعلان صفحة "شبكة أخبار القوات المسلحة السورية" المؤيدة للنظام السوري لكن غير الرسمية وقوف "محور المقاومة" وراء إصابة الإعصار "ساندي" الساحل الشمالي الشرقي الأميركي باستخدام تكنولوجيا فائقة التطور واستغربته. وهو خبر جدير بكل استهزاء واستغراب.

أما المعارضة المسلحة فتحقق انجازات على الأرض وخاصة في الشمال السوري، ومع تسليمنا بأن العسكرة باتت أمراً واقعاً، إلا أنه ما زالت لـ "السلمية" جاذبيتها على رغم تفشي العسكرة وقيمها في أنحاء الثورة، والضعف الذي أصاب «السلمية» بدأ تعويضه بعد أن قررت المعارضة المدنية العودة من تركيا ومن بيروت وعمان، هذه العودة التي أقدم عليها ناشطون غادروا ثم عادوا تحت إلحاحها.

هذا هو المشهد في سوريا اليوم، وعيون السوريين جميعاً نحو الخلاص، نحو وقف التخاذل العالمي تجاه شعب يذبح يومياً، والمجتمع الدولي يختبئ وراء إصبعه، لتغدو المعارضة السورية بانقساماتها، هي المسؤولة عن عذابات السوريين وآلامهم، حتى أنه يخيل للمتابع للتصريحات الغربية المتعلقة بالشأن السوري، بأنه إذا توحدت المعارضة مساءً ففي صبيحة اليوم التالي سيصدر قرارٌ ملزم عن مجلس الأمن لإسقاط النظام السوري عشية ذات اليوم..

فالمعارضة السورية والحالة هذه، ملزمة بكشف النفاق الدولي أو صدقه. وإذا سلمنا بحسن النوايا فإن أمام المعارضة فرصة ذهبية سانحة، يتعيّن عليها أن تعض على النواجذ، وهي فرصة توحيدها سياسياً، خاصة أن المجتمع الدولي، الآن يجري ترتيب رؤاه للمشهد السوري. ومع نهاية الانتخابات الأمريكية، فإن من المتوقع أن تحدث نقلة نوعية للقضية السورية.

ويتعيّن أن تحوّل المعارضة هذه النقلة النوعية لصالح الشعب السوري وثورته، لا أن تتسبب في التفريط بهذه الفرصة، مثلما فرّطت، بسبب شقاقها وخلافاتها في تدمير فرص كثيرة سابقة كان يمكن أن تستغلها لتوحيد الجهود الدولية خلف المعارضة من أجل إسقاط النظام الذي أعلن بوضوح، بالقول والعمل، أنه وكيل للمصالح الإيرانية والروسية حتى وإن كانت هذه المصالح لا تتحقق إلا على جثث السوريين ودمار سوريا.

ويتعيّن على كل فصائل المعارضة السورية، بما فيها المجلس الوطني، أن تعرف أنها لا تمثل شيئاً ما لم تسعَ إلى توحيد الحراك السوري في هيئة تمثل جميع فصائل المعارضة. وهذه مسألة يمكن تحقيقها بسرعة وبسهولة إذا تخلت فصائل المعارضة عن المصالح الشخصية والحزبية وتجنّبت الدخول في متاهات النزاعات. إذ يمكن أن تجتمع كل الفصائل وتختار ممثليها الذين يمكن أن يشكّلوا بدورهم قيادة سياسية للثورة بمثابة حكومة أو صناعة قرار للثورة، تنضوي تحت لوائها الفصائل العسكرية. وعندها لن يجد المجتمع الدولي أية أعذار للإحجام عن دعم الثورة السورية، كما أن هذه القيادة ستتمكن من مواجهة طهران وموسكو بقوة وبشرعية شعبية صلبة، وتستطيع صد الاختراقات المتنوّعة التي تتعرّض لها الثورة السورية، هذه الاختراقات التي يرتكبها أعداء للثورة وانتهازيون وهواة وعبثيون.

فالثورة السورية التي توشك على دخول شهرها العشرين على مفترق طرق يستدعي معها أن ترتقي المعارضة السورية بمختلف أطيافها إلى مسؤوليتها الوطنية وتنحي خلافاتها وتباياناتها جانباً وأن تكون في مستوى تضحيات الشعب السوري ومستوى ثورته العظيمة فتعظم الجوامع التي تلتقي عليها وتتحد خلف رؤية واحدة وبرنامج واحد يحقق أهداف وطموحات وتطلعات الشعب السوري.

وبهذا السياق تستضيف الدوحة مؤتمراً لتوسيع المعارضة السورية لبحث مقترح عضو قيادة «إعلان دمشق» رياض سيف تشكيل أربعة أجهزة للمعارضة بينها «حكومة مؤقتة» على أمل أن تكون الجهة التي ستفاوض لـ «المرحلة الانتقالية» في المستقبل، إضافة إلى تركيز المعارضة المسلحة على التخلص من «المتطرفين والجهاديين» في صفوفها.

وكان سيف أعلن «مشروع هيئة المبادرة الوطنية» التي تتضمن دعوة «أطياف المعارضة السورية السياسية بالإضافة إلى ممثلي الجيش الحر والمجالس العسكرية والحراك الثوري والمجالس المحلية والحر وشخصيات اعتبارية من المحافظات للمشاركة في مختلف تكوينات هذا المشروع المُقترح»، لتشكيل أربعة أجسام هي: «هيئة المبادرة» وتضم ممثلي القوى السياسية والمجالس المحلية والحراك الثوري والشخصيات الوطنية و«مجلس عسكري أعلى» ويضم ممثلي المجالس العسكرية والكتائب و«لجنة قضائية» وحكومة مؤقتة مشكلة من تكنوقراط، وقد أعد هذا المشروع خلال الشهور الثلاثة الماضية بدعم من السفير الأميركي السابق في سورية روبرت فورد تعبيراً عن اعتراض واشنطن على دور «المجلس الوطني» وعدم تمثيله لكل المعارضة وتزايد دور «الجهاديين» في أوساط المعارضة، سبقه اجتماعات عدة، بينها اجتماع عقد بعيداً من الإعلام في دول أوروبية وفي نيويورك للبحث في «توحيد» المعارضة شارك فيها وزراء خارجية عدد من دول أصدقاء سورية.

وبمجرد إعلان سيف مبادرته تزامناً مع انتقادات وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلنتون لـ «المجلس الوطني» صدرت مواقف متفاوتة من مقترح توسيع المعارضة وتشكيل حكومة مؤقتة. إذ رفض المجلس الوطني السوري المعارض تشكيل أي إطار جديد للمعارضة السورية يكون بديلاً عنه. وأبدى المجلس في بيان «جديته في الحوار مع أطياف المعارضة في شأن المرحلة الانتقالية وتشكيل سلطة تعبر عن كامل الطيف الوطني»، مؤكداً أن أي اجتماع في هذا الشأن «لن يكون بديلاً من المجلس أو نقيضاً له».

وكانت مجموعة من المعارضة السورية قد عقدت اجتماعاً في عمّان حضره نحو 15 معارضاً وناشطاً سياسياً بينهم رئيس الوزراء السوري المنشق عن نظام بلاده رياض حجاب، وسيف والمعارض كمال لبواني، تمهيداً لاجتماعات الدوحة. ونقلت مواقع الكترونية عن لبواني قوله إن المبادرة جاءت لتوحيد المعارضة السورية. كما عقد في اسطنبول نهاية الشهر الماضي مؤتمر عن المرحلة الانتقالية عقده «المركز السوري للدراسات السياسية والإستراتيجية» بمشاركة قوى عدة بينها «المجلس الوطني» و«المجلس الوطني الكردي»، اختتم ببيان دعا إلى الإسراع في تشكيل حكومة في المنفى لتحسين تمثيلها، خصوصاً الحصول على دعم أفضل من الأسرة الدولية.

وكان الناشط محمد عبد الله أول من أشار إلى مشروع سيف، موجهاً إليه انتقادات عدة. وكتب على صفحته على "فيسبوك" أن "المجتمع الدولي اكتشف أن المجلس الوطني السوري يتبنى مطالب الثورة كاملة،

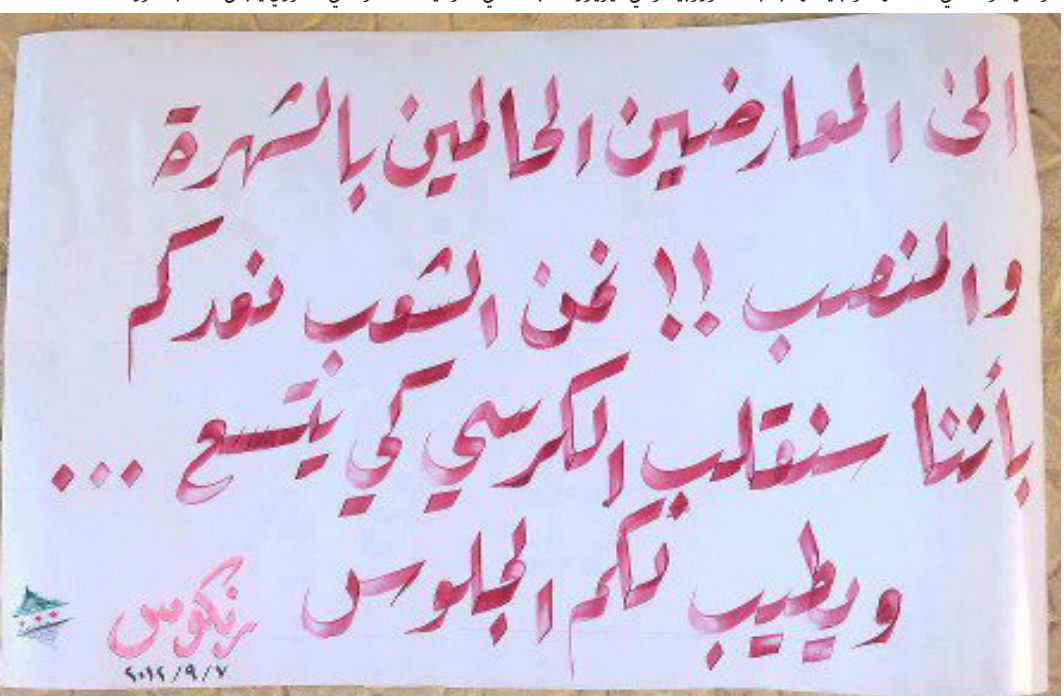

وأن سقفه السياسي مطابق لسقف الثوار في الداخل وأن المجلس يرفض أنصاف الحلول التي يقدمها المجتمع الدولي، فلم يعد المجتمع الدولي مرتاحا للمجلس بتاتا، مشيرا إلى أن الحكومة الانتقالية ترمي إلى تحقيق توجه لدى أطراف إقليمية ودولية لإنهاء دور المجلس الوطني السوري وخلق كيان سياسي جديد يستجيب لتوجهاتها وطلباتها، وأن الهدف من الحكومة هو اعتماد حلول سياسية تقفز على الهدف الرئيس للثورة: إسقاط النظام، وتبني خيار حل وسط أو لا غالب ولا مغلوب. وزاد أن الهدف من تشكيل الحكومة الانتقالية هو الموافقة على ما رفضه المجلس الوطني سابقا: الحوار مع النظام والقبول بأفكار الأمين العام للجامعة العربي نبيل العربي والأخضر الإبراهيمي حول حل سياسي في سورية تقود حكومة فيه شخصية معارضة.

إلا أن مؤيدي اقتراح سيف يرون أن الحكومة المؤقتة ستحظى بـ «اعتراف دولي» وأموال مجمدة للحكومة السورية وتسليح المعارضة غير الجهادية وغير المتطرفة.

وكان المجلس الوطني قد وجه نقداً لاذعا إلى واشنطن. آخذاً عليها التلكؤ وغياب المبادرة بمساعدة الحراك الداخلي، وعدم الوقوف في وجه التصلب الروسي - الصيني والتدخل الإيراني الواسع إلى جانب النظام. وعدم إمداد المجموعات المسلحة بالعتاد اللازم لمواجهة آلة القتل والتدمير. و«المجلس الوطني» لا يتحمل وحده مسؤولية انتشار مجموعات «جهادية» متشددة بدأت تشوه صورة الحراك الداخلي بمقدار ما بدأت تزرع الشكوك والمخاوف في صفوف أصدقاء سورية من المرحلة المقبلة. في المقابل لا يمكن تحميل المجتمع الدولي مسؤولية انسداد الأفق في الأزمة السورية والمأزق الذي يعتريها. ولا حاجة إلى تعداد الأسباب التي حالت وتحول دون تدخل الولايات المتحدة وأوروبا عسكريا لحسم القتال لمصلحة الحراك. فالأميركيون لم يتعافوا بعد من حرب العراق ولا يزالون يعانون في أفغانستان. ولا يبدي قادة البنتاغون تالياً استعدادا لفتح جبهة جديدة. كما أن التدخل في سورية محفوف بأخطار ليس أهمها تدخل إيران التي تستميت في التمسك بنظام الرئيس بشار الأسد. كما أنه ثمة بيئة عسكرية مختلفة، تزيد من تردد أوروبا ومخاوفها وعجزها الاقتصادي.. وكلها عوامل سببت وتسبب في إطالة آلام السوريين.

إلا أن المتفق عليه أن المجلس الوطني، عجز عن الحد الأدنى لتمثيل السوريين والدفاع عن حقوقهم، لذا بات من واجب قطر التي لم تتوان عن دعم «المجلس الوطني» أن تدفع باتجاه إنجاح الصيغة التي يحملها رياض سيف، إذا كانت على اقتناع بأن التجربة الماضية لم تحقق المطلوب. ولا يبقى أمام تركيا التي رعت طويلاً التركيبة الحالية لـ «الوطني» سوى إعادة النظر في موقفها، خصوصاً أن الأشهر الطويلة أثبتت أن المجلس القائم لم يستطع جذب كثير من القوى والشخصيات والمجموعات التي لا تروق لها سيطرة الإسلاميين على تركيبته. كما أن تداعيات الأزمة السورية بدأت تلقي بظلالها وتداعياتها الثقيلة على الداخل التركي. وإضافة إلى التحرشات شبه اليومية على حدودها، عادت قضية «حزب العمال الكردستاني» تفرض نفسها على حكومة رجب طيب أردوغان.

أما الإدارة الأميركية لا يمكنها بعد الانتخابات الرئاسية مواصلة «النأي بالنفس» أو الاختباء وراء الفيتو الروسي - الصيني. لن تبدل موقفها الرافض التدخل العسكري، ودعوة وزيرة الخارجية إلى لم شمل كل القوى المعارضة ترسم طريقاً يؤدي إلى قيام «عنوان» واحد لجميع خصوم النظام. لعل ذلك يساهم في تبديد المخاوف من البديل المحتمل ويحدد بوضوح الجهة المسؤولة عن تلقي الدعم المالي والعسكري لاحقا بما يقلب المعادلة القائمة التي تتيح للنظام السيطرة على الميدان عبر السيطرة على سماء البلاد.

أطياف المعارضة

والمعارضة السورية التي هي العقدة وهي أيضا الحل للأزمة السورية التي بدأت تطول وتؤرق دولا كثيرة لم تحسب الأمر حسابا دقيقا، تتكون من المجموعات الآتية:

1) المجلس الوطني السوري: يتكون أساسا من الإخوان المسلمين وكتلة إعلان دمشق ولجان التنسيق المحلية والهيئة العليا للثورة السورية والعديد من الشخصيات القبلية والعلمانية والمستقلة، والمجلس يعمل أساسا لإزالة الأسد ونظامه دون القبول بأي حوار حتى سقوطهما.

2) هيئة التنسيق الوطنية: التي تتكون من العديد من الأحزاب اليسارية والكردية، وتتبنى منهجا مغايرا للمجلس الوطني، فهي ضد أي تدخل خارجي، وضد عسكرة الثورة، وتدعو إلى حوار سياسي لبناء الدولة السورية الديمقراطية، والتي أعلنت أنها لن تشارك في مؤتمر المعارضة السورية بالدوحة في الثامن من شهر تشرين الثاني الجاري، بحسب بيان صادر عن الهيئة اليوم.

وقال البيان إن الدعوة إلى المؤتمر ينقصها التحضير الجيد والمشاركة المسبقة في الإعداد، إضافة لإشارات توحي أن هذه الدعوة لا تعبر عن إرادة السوريين المستقلة، لذلك وعلى ضوء ما تقدم إن هذا المؤتمر المزمع عقده لن يكون خطوة بناءة في عملية توحيد المعارضة بقدر ما سيكون طريقاً لزيادة الفرقة والتشرذم. ولذا قرر المكتب التنفيذي عدم مشاركة الأحزاب والشخصيات المنضوية في الهيئة بهذا المؤتمر، وأضاف البيان أن "هيئة التنسيق والقوى المعارضة الأخرى في الداخل التي أثبتت في مناسبات عدة أنها من أكثر قوى المعارضة السورية رغبة في إنشاء بناء مشترك أو موحد للمعارضة في سبيل النضال لتحقيق أهداف شعبنا في التغيير الديمقراطي المنشود".

وخلص المكتب التنفيذي للهيئة، بحسب البيان، إلى ضرورة تشكيل لجنة تحضيرية على قدم المساواة من كافة أطياف المعارضة الرئيسية من أجل التحضير التنظيمي والسياسي، تنطلق من ما تم التوافق عليه من الوثائق الصادرة عن مؤتمر القاهرة للمعارضة السورية لكي يبنى عليها، ونجد أنه من المناسب عقد هذا المؤتمر في القاهرة، تدعى له كافة أطياف المعارضة السياسية وقوى الحراك وممثلين عن المعارضة المسلحة الديمقراطية، تحت إشراف الجامعة العربية وبمشاركة المبعوث المشترك السيد الأخضر الإبراهيمي وأن تكون مهمة هذا المؤتمر صياغة تصور تنفيذي يحقق الغايات الوطنية للثورة السورية في قيام النظام الوطني الديمقراطي الذي يشمل جميع السوريين ويحقق تطلعاتهم نحو الحرية والكرامة.

3) الجبهة الوطنية الديمقراطية: أو كما سماها مؤسسها في الأول ميشيل كيلو الحل الثالث، والذي يبدو أنها انخرطت في المبادرة الأميركية الجديدة التي أطلق عليها اسم "المبادرة الوطنية السورية" والذي يكون هو قد دخل في هيئتها من بين المعارضين الجدد الذين تراهن أميركا على نفخ روح جديدة في المعارضة، والتأكد من "ديمقراطية" الثورة.

4) تيار بناء الدولة السورية: والتي تتكون من معارضين للنظام السوري، أشهرهم لؤي حسين، إلهام عدوان، وينتهج التيار العمل السلمي لبناء دولة سورية ديمقراطية.

5) الجيش السوري الحر: وهو يمثل المعارضة المسلحة، من عسكريين منشقين ومدنيين مسلحين ويتكون من ألوية عديدة، ومجموعات كثيرة، يغلب عليها عدم التنسيق، وقد تفاقم الأمر لما أبدت الكثير من المجموعات عدم انضوائها تحت لواء الجيش السوري الحر الذي يتزعمه رياض الأسعد.

6) شخصيات وطنية عديدة مستقلة: قبلية وثقافية ودينية ليس لها تنظيمات معينة، لكن لها ثقل في الشارع السوري أو في المجتمع الدولي كرياض سيف والشيخ الصياصنة وغيرهم.

بنود المبادرة

أما عن "المبادرة الوطنية السورية" فهدفها الأول إبراز عنوان عريض لمعارضة تستطيع أن تجيب أو تطمئن الحلفاء الحاليين للنظام السوري وتزيل تخوفاتهم، وبغض النظر عن الترتيبات التنظيمية والإجراءات العملية لبلورة المبادرة، فإن المبادرة تهدف إلى تحقيق الأهداف التالية:

1) تكوين هيئة المبادرة الوطنية السورية من أطياف المعارضة السورية، على أوسع حد، وبصورة يجد جميع مكونات الشعب السوري تمثيلهم.

2) تكوين حكومة تكنوقراط تكون لها مهمة سياسة المناطق المحررة، ومهمة تلقي المساعدات الدولية.

3) دعم الجيش السوري الحر ليكون التنظيم العسكري الوحيد، وفرض الانضباط فيه.

4) التأكيد على الديمقراطية ومحاربة أي فكر متطرف وإقصائي أو طائفي.

5) ترسيخ فكرة القبول بحوار مفترض مع أطراف في النظام، والتسويق لفكرة تولي فاروق الشرع لقيادة فترة انتقالية بعد الأسد.

مع صدور هذا العدد من سوريتنا، يكون مؤتمر الدوحة قد أتم أعماله، أودعكم على أمل أن لا يخيب الأمل.. فأمل السوريين بالحرية والكرامة أمل لا شفاء منه..

أعداء الثورة

■ خالد كنفاني

هذا هو قدر الثورات عبر التاريخ....

يبدؤها الأبطال، ويركبها الجميع ويغنم مكاسبها المارقون والطارئون على كل شيء.

في سوريا أبطال الثورة هم أطفال درعا، ومعتقلو المظاهرات السلمية من النساء والرجال، أولئك الذين حملوا الصدمة الأولى ونالهم من العذاب والاعتقال والإهانة ما تعجز الجبال عن حمله.

وغيرهم لا أحد.

ليس كل من حمل السلاح ثائر ولا كل من ألقى خطاباً رنانا بطل. "إن البطولة أن تموت من الظما..... ليس البطولة أن تعبّ الماء"، هكذا قال أمير الشعراء أحمد شوقي في رثاء المناضل والثائر الليبي "الحقيقي" عمر المختار.

ولما بدأت كفة موازين القوى في العالم بالميلان بدأ الجميع بركوب الثورة واستغلالها والمتاجرة بها والمقامرة بها والتغني بها وإعطائها النصائح والتوجيهات وبيعها الشعارات والأغاني والأهازيج والدفاع عنها عبر تخوين مخالفيها حتى ولو كانوا يناقشون حلولا مختلفة.

أسوء أعداء الثورة أولئك الذين استفادوا وأثروا من النظام ثم يخرجون علينا لبيع الوطنيات في سوق الثورة. هل كان نواف الفارس مثلاً يعارض النظام حينما كان رئيسا لفرع الأمن السياسي في اللاذقية؟ أم أنه كان يمارس "التقية" بما يقرب إلى النفاق؟ لا أحد في سوريا يخفى عليه مهام وواجبات فروع الأمن السياسي، والكل يعلم سطوتهم وظلمهم وبغيهم على العباد، ثم يأتي من يقول "لقد تاب الرجل وانضم إلى الثورة"!

أما رياض حجاب مثلاً، فقد بقي رئيساً للاتحاد الوطني لطلبة سوريا حوالي عشرة أعوام لا أعتقد انه خلالها كان يدافع عن حقوق الطلاب أو ينظر إلى أحوالهم أصلاً، وتم تقدير خدماته بتعيينه في قيادة فرع دير الزور لحزب البعث ثم أميناً عاماً للفرع ذاته ثم محافظاً للقنيطرة اعتباراً من 2008 وآخرها رئيس للوزراء عام 2011، أي أنه كان محط اهتمام وثقة النظام عبر خدماته الجليلة في الأعوام الماضية، ولا نعتقد أنه كان يتعيش من راتبه والكل يعلم ما كان يفعله المحافظون في محافظاتهم لقبض أثمان الخدمات والمخالفات وغيرها. أما وان يصبح وطنياً ثورياً بين ليلة وضحاها فهو من ضرب الخيال والطبع يغلب التطبع.

أما الضباط الذين كانوا وعبر ثلاثين عاماً الماضية ينامون يومياً أكثر من اثنتي عشرة ساعة ولا يستيقظون إلا لتوقيع الإجازات وقبض ثمنها أو للبحث عن وجبة هنا أو هناك ولم يمارسوا كل الفترة الماضية أي عمل عسكري ولو على مستوى بسيط فإنهم أبعد ما يكونون عن التخطيط العسكري وشؤون الحرب، وقد ظهرت النتائج الكارثية لكل ذلك في "الانسحابات التكتيكية" والخطط العسكرية التي كان الضباط يتلونها وكأنها بيان مكتوب عبر السكايب وهم جالسون في بعض الخيام ما وراء الحدود تاركين الجنود والأهالي لمصيرهم المحتوم أمام نظام لا يرحم.

ويتضح من الفوضى العارمة التي تضرب الوطن في كافة أرجائه والعدد المهول من الكتائب والألوية والفرق والفصائل ضياع بوصلة الثورة تماماً بعد أن ركبها الجميع بهذه الطريقة الارتجالية المحضة. نحن لا نبحث عن ثورة بلا أخطاء، فليس من شيء كامل في الحياة، ولكننا نبحث عن بعض المصداقية وبعض الحرفية. لا بأس في الخطأ ولكن المشكلة في التعلم من الخطأ، والمشكلة الأكبر في التعلم من الخطأ.

ودخل الطارئون على الثورة على الخط. وصارت هذه الثورة سلعة مربحة لأن هناك الكثير ممن يشتري، رغم أنه ذر للرماد في العيون ورغم أن أولئك الشارين أوهموا السوريين أنهم يدعمون ثورتهم وحقهم في اختيار نظام الحكم الذي يناسبهم، ولكن الواقع الفعلي كان غير ذلك.

وكيف سيختلف الفاسدون إذا تغيرت الأنظمة؟ هو كلام سطحي ونظري، فالفساد المتغلغل في أعماق المتسلقين والمنافقين لن يختفي بمجرد انتقالهم إلى صفوف الثورة، بل على العكس فقد كشر ذلك الفساد عن أنيابه ورأى في الثورة فرصة لا تعوض للكسب والشهرة والظهور. وهكذا ظهرت إلى الوجود أسماء بأشكال وبألوان لم يعلمها أحد، وورغم أن بعضهم وصل إلى ذلك عن طريق العمل الدؤوب المخلص بالفعل (حتى لا يتم اتهامنا بالتحامل أو التعميم)، إلا أن معظمهم وصل تسلقاً على أكتاف الناس التي تضحي بدمها وممتلكاتها كل يوم. والدليل على سطحية هؤلاء اختفاء أثرهم بعد فترة وجيزة من ظهورهم وصياحهم المتكرر على الشاشات وشتائمهم التي لا تنضب وكأنهم في مبارزة في الهجاء.

فجأة وبدون سابق إنذار أطلت علينا السيدة كلينتون بإعلان أقض مضاجع أعضاء المجلس الوطني وجعلهم يهرعون إلى كشف حساباتهم ومدى حالتهم المادية الصعبة وذلك خوفاً من ضياع المكاسب الكبيرة التي وصلوا إليها ناهيك عن حفاوة الفنادق والمنتجعات والمؤتمرات التي احتكروها لأنفسهم طيلة عام كامل، وشعروا أنهم لن يعودوا "بلا شريك"، وأن نظرية المجلس الواحد الممثل الشرعي للشعب السوري سقطت قبل أن ترى النور، وتسارعوا إلى عقد هيئة عامة وضم مئات الناس بشكل عشوائي للمجلس للإيهام بإصلاحه، وكانت نتيجة انتخابات الهيئة العامة 41 رجلاً دون أي مقابل من النساء، وهو ما دفع إحدى الناشطات للسخرية قائلة: "هذه أكبر نتيجة هزيمة في كل المباريات التي شاهدتها فيما مضى. " والأسوء من ذلك هو اختفاء بعض الأسماء الوطنية الحقيقية بينما بقي الكثير من الانتهازيين والمارقين مما يوضح ملامح العهد القادم في سوريا.

دخل على الخط أيضاً روبرت فورد السفير الأمريكي السابق في سوريا وبدأ يعطي إملاءاته معتقداً في نفسه "بريمر" المرحلة القادمة في سوريا، بينما سال لعاب البعض لنيل مناصب "طالباني وبرزاني ومالكي" سوريا الجدد والذين سينالون النصيب الأكبر من عقود إعادة الإعمار لتدخل البلاد في نفق فساد نهب جديد يأكل الأخضر واليابس ويتهم المخالفين بالخيانة والعمالة لروسيا وإيران (لن تعود العمالة لإسرائيل تهمة).

أعداء الثورة أكثر من أصدقائها، وأكثر من يدعي صداقة سوريا أثبت أنه ألد أعدائها، وهذا لم يكن غريباً إلا في نظر بعض العميان الذين لا يزالون ينادون على المجتمع الدولي ليل نهار، أما الواقع فيقول أن سوريا تركت لقدرها المحتوم كما تم ترك فلسطين والعراق ولبنان في أحد الأيام، فالمجتمع الدولي المزعوم يصر على تذكرنا أن شريعة الغاب هي الأساس وما يحدث في أماكن أخرى من العالم هو استثناء.

لن تكون الثورة في سوريا استثناء عن الثورات وحركات التغيير عبر التاريخ، فحالات الحروب الأهلية والفوضى العارمة والتقسيم والقتل والدمار هي كلها إرهاصات التغيير القادم غير أن أمد ذلك لن يكون قصيراً بل قد يدوم عشرات السنين، وقد أشرنا في مقالات سابقة إلى الثورة الفرنسية والحرب الأهلية الأمريكية وغيرها من أحداث التاريخ الكبرى والتي عاش أصحابها أصعب الظروف وأسوءها إلا أن أولادهم نشأوا في بلاد متقدمة يسودها السلام وتحكمها العدالة.

إن الانتقال من حالة الثورة إلى حالة الدولة سوف يتطلب وقتاً وجهداً كبيرين نظراً للتركة الثقيلة الملقاة على عاتق السوريين عبر قرون من التخلف والرجعية والاستبداد، وهذا أمر لن يستطيعه سوى السوريون أنفسهم ولو استعانوا ببعض الجهات من هنا وهناك. إن بناء الأوطان لا يتم عبر مؤتمرات خارج الحدود في أفخم الفنادق ولا يتم عبر التصريحات والتعليقات والتغريدات، فهذه كلها لتمضية الوقت وتسجيل المواقف، أما بناء الوطن فسيتم من داخله بعد أن يكون قد أفرز أبناءه والمخلصين له لينطلق نحو المستقبل بخطى ثابتة وعيون مفتوحة.

آخر الكلام: يقول محمود درويش:

أيها المارون بين الكلمات العابرة

احملوا أسماءكم وانصرفوا

واسحبوا ساعاتكم من وقتنا، و انصرفوا

وخذوا ما شئتم من زرقة البحر و رمل الذاكرة

و خذوا ما شئتم من صور، كي تعرفوا

أنكم لن تعرفوا

كيف يبني حجر من أرضنا سقف السماء

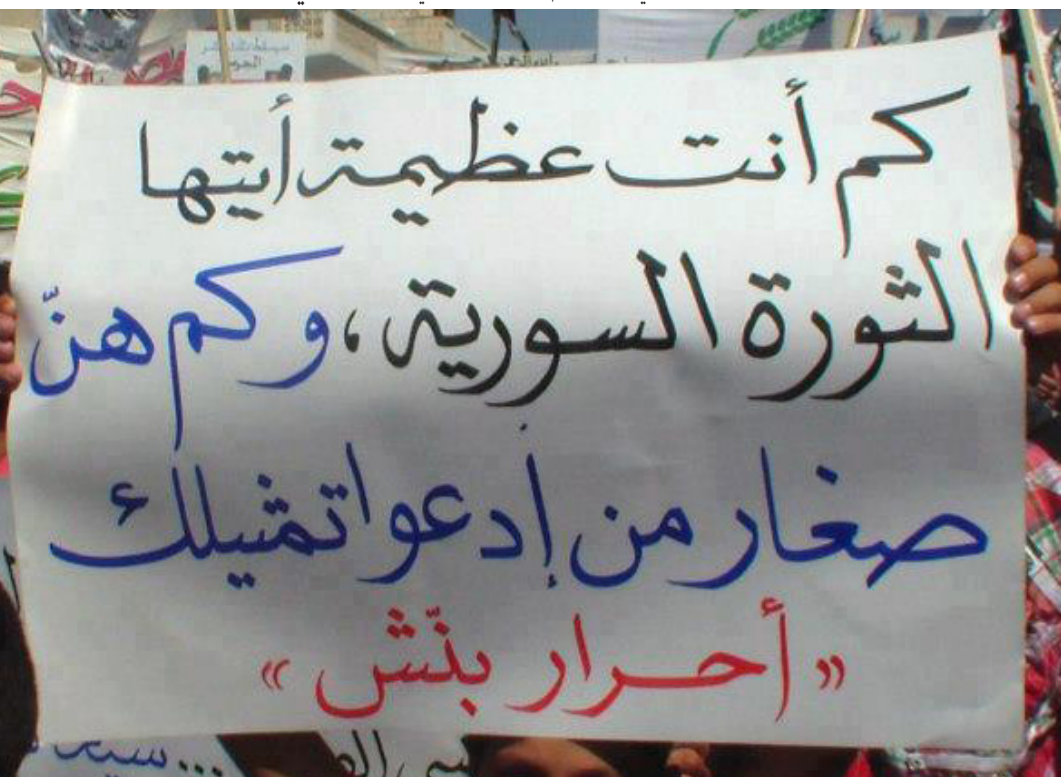

جرم الفرار في القانون العسكري

■ ياسر مرزوق

من الجرائم التي نصت عليها مواد قانون العقوبات العسكري الجرائم التالية:

1 - الفرار إلى العدو.

2 - الفرار أمام العدو

3 - الاستسلام.

الفرار إلى العدو:

وهي الجريمة التي يترك فيها العسكري وحدته العسكرية، أو المكان الذي يتم فيه أداء خدمته العسكرية، ثم ينضم إلى العدو. وقد نصت المادة 102 في فقرتها الأولى على (يعاقب بالانعدام كل عسكري ارتكب جريمة الفرار إلى العدو).

و جريمة الفرار إلى العدو تنطوي على ثلاثة أركان:

الأول هو الركن المفترض وهو كون هذا الفار عسكرياً، بمعنى انتمائه إلى إحدى المؤسسات العسكرية.

أما الركن الثاني: الركن المادي وهو قيام العسكري بالإقدام على الفرار الى العدو، والعدو هو كل دولة أو جماعة أعلنت الحرب على سوريا أو بينها وبين سوريا حالة حرب. ويطلق على حالة الحرب حسب الموسوعة العسكرية: الوضع الذي يسود دولة مشتبكة في صراع مسلح، وتبدأ حالة الحرب مع إعلان الحرب ولا تنتهي بهدنة مؤقتة أو وقف لإطلاق النار، وإنما تنتهي بعقد اتفاقية صلح أو باستسلام أحد الطرفين.

الركن الثالث هو الركن المعنوي أو القصد الجرمي وهنا القصد شيء جوهري لتحقق الجريمة فعدم العلم بإحدى عناصر الجريمة ينفي المسؤولية لانتفاء القصد الجرمي لديه. وبالنسبة إلى العقوبة فكما ذكرت نص المادة 102 الفقرة الأولى هي الإعدام.

الفرار أمام العدو:

لا يمكن أي يحدث الفرار أمام العدو إلا إن كان هناك معركة مع العدو أي اشتباك مسلح، إذا لا تقع هذه الجريمة إلا في حالة الحرب. أما ما نص عليه قانون العقوبات العسكري في مادته 102 الفقرة الثانية هو "إذا حصل الفرار أمام العدو فانه يعاقب بالاعتقال المؤبد، وإذا كان الفار ضابطاً فانه يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة، ويقضي عليه فوق ذلك بعقوبة الطرد في جميع الأحوال".

من نص هذه المادة نستشف أركان الجريمة وهي:

أولاً: كما الجريمة السابقة الركن المفترض كون الفار عسكرياً، وأن يكون البلد في حالة حرب معلنة، والحرب هي الاشتباك المسلح بين دولتين أو جماعتين تخضعان لنظامين مختلفين، ولهما هدف مختلف، يريدان تحقيقه بالقوة المسلحة.

ثانياً: الركن المادي وهو قيام العسكري بتصرف يدل على الجبن، كأن يختبئ أو يترك موقعه بدون إذن هرباً من مواجهة العدو. أما نص المادة 103 فقد نصت على أن المقصود بعبارة "أمام العدو" يعتبر أمام العدو العسكري الذي اشتبك مع العدو أو الذي يوشك أن يشتبك معه أو الذي هو عرضة لهجماته.

ثالثاً: الركن المعنوي أو القصد الجرمي

وهنا يجب أن يعلم العسكري بوجود حالة الحرب، وأن تصرفه سيؤدي الى فشل القوات في تحقيق الدفاع والنصر.

وقد ميز المشرع في العقوبة بين الضابط الفار والعسكري. فعاقب الضابط الفار بالأشغال الشاقة المؤبدة والطرد، بينما يعاقب العسكري بالاعتقال المؤبد.

الاستسلام:

هذه الجريمة خصها المشرع السوري بالقادة من الضباط أو غيرهم، ويمكن تعريفها أنها تخلي القائد العسكري أو من يقوم مقامه عن الدفاع والمقاومة، مستسلماً إلى العدو مع الوحدة التي يقودها.

أركان الجريمة

أولاً: الركن المفترض وهنا لم تشترط نص المادة كون الفاعل عسكرياً، بل قالت آمراً، أو حاكماً مكلفاً بالإشراف على مكان، ولكن من سياق النص القانوني يستشف أن المقصود هو القائد العسكري.

ثانياً: الركن المادي وهنا له شقان:

1 - القيام بالتسليم: أي قيام القائد بالاتفاق مع العدو على القيام بالتسليم للموقع دون إذن من قيادته، تكون نتيجة الاتفاق وقوع الموقع في يد العدو.

2 - وهنا أن يكون التسليم واقعاً على المركز أو الموقع الذي كان تحت سيطرة الجيش السوري، سواء كان قطعة أرض أو سفينة أو قاعدة أو مركبة جوية.

3 - عدم استنفاذ جميع الوسائل في الدفاع: ويقصد بها مثلاً استعمال كافة الذخيرة في الدفاع، من قبل الجنود واستعمال المؤن للصمود.

4 - أما موضوع التسليم فهو الموقع أو المركز حيث تكون نتيجة التصرف وضع العدو يده عليه، بعد تسليمه لأحد ممثلي العدو سواء كان عسكرياً أو مدنياً.

ثالثاً: الركن المعنوي وهو القصد الجرمي، وهو العلم من القائد بصفته، وأن تصرفه يؤدي إلى التسليم، بدون النظر إلى هذا السبب سواء كان الخوف أو تحقيق مصلحة شخصية.

وفي ما يلي نعرض للنصوص القانونية الناظمة لجرم الفرار:

1 - يعد فاراً خارج البلاد زمن السلم كل عسكري يجتاز الحدود السورية بدون إذن تاركاً القطعة التي ينتسب لها وملتحقاً ببلاد أجنبية وذلك بعد انقضاء ثلاثة أيام على غيابه غير المشروع وهذه المدة تصبح يوماً واحداً زمن الحرب.

2 - يعاقب العسكري الفار إلى خارج البلاد بالاعتقال من خمس سنوات إلى عشر سنوات.

3 - ترفع عقوبة الاعتقال المؤقت إلى خمس عشرة سنة إذا فر العسكري إلى خارج البلاد في أحد الظروف التالية:

آ - إذا أخذ الفار معه سلاحاً أو عتاداً أو حيواناً أو آلية أو أية تجهيزات أخرى أو ألبسة غير التي يرتديها عادة.

ب- إذا فر أثناء قيامه بالخدمة أو أمام متمردين.

ج- إذا سبق له أن فر من قبل.

د - إذا فر زمن الحرب أو في إقليم في حالة حرب أو في منطقة أعلنت فيها الأحكام العرفية.

4 - إذا كان الفار ضابطاً يعاقب بالحد الأقصى لعقوبة الاعتقال المؤقت.

ونصت المادة 102:

1 - يعاقب بالإعدام كل عسكري ارتكب جريمة الفرار إلى العدو.

2 - وإذا حصل الفرار أمام العدو فإنه يعاقب بالاعتقال المؤبد، وإذا كان الفار ضابطاً فإنه يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة ويقضى عليه فوق ذلك بعقوبة الطرد في جميع الأحوال.

المادة 103:

1 - يعد فرارا بمؤامرة، كل فرار يحصل من عسكريين فأكثر بعد اتفاقهم عليه.

2 - يعاقب رئيس المؤامرة على الفرار إلى خارج البلاد بالاعتقال المؤقت، مدة لا تقل عن خمس سنوات وإذا كان ضابطاً فيعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة مدة لا تقل عن خمس سنوات.

3 - يعاقب رئيس المؤامرة على الفرار داخل البلاد بالاعتقال من ثلاث إلى عشر سنوات.

4 - يعاقب سائر الفارين بالحبس من سنة إلى خمس سنوات إذا كان الفرار داخل البلاد وإذا كان إلى خارج البلاد فيعاقب الفارون بعقوبة الفرار إلى خارج البلاد.

5 - زمن الحرب يعاقب بالإعدام:

آ- الذي يفر بمؤامرة أمام العدو.

ب- رئيس المؤامرة على الفرار إلى الخارج.

6 - إذا كان الفار ضابطاً فعلاوة على العقوبة المنصوص عليها في هذه المادة يقضى عليه بعقوبة الطرد وإن لم تشتمل العقوبة المحكوم بها على التجريد العسكري.

7 - يعتبر ((أمام العدو)) العسكري الذي اشترك مع العدو أو الذي يوشك أن يشتبك معه أو الذي هو عرضة لهجماته.

المادة 104: إذا صدر حكم غيابي على الفار إلى العدو أو الفار أمام العدو أو المتخلف الذي التحق ببلاد أجنبية وبقي فيها زمن الحرب تهرباً من واجباته العسكرية تقضي المحكمة لصالح الخزينة بمصادرة جميع أمواله الموجودة والمستقبلة المنقولة وغير المنقولة المشتركة وغير المشتركة.

هل الثورة مكتفية أخلاقياً؟

■ ياسين الحاج صالح

تتناول هذه المقالة قضية سبق لكاتب هذه السطور أن مسّها على نحو عابر في مواد سابقة: هل الثورة السورية مكتفية ذاتيا على المستوى الأخلاقي، أم أنها بحاجة إلى توجيه أخلاقي من خارجها؟ يمكن طرح تنويعات لهذا السؤال نفسه على المستويين السياسي والمعرفي أيضا، أي عن مدى الاكتفاء الذاتي للثورة سياسياً، ونظريا. لكن سنقتصر هنا على المستوى الأخلاقي.

(1)

تمايز بالتدريج موقفان واضحان في شأن قيم الثورة وأخلاقياتها. موقف أول يضيق بأي نقد للثورة أو اعتراض على ممارسات ثائرين، المقاومة المسلحة بخاصة وتكتيكاتها وسلوك بعض مجموعاتها، ويمتعض من التحفظ على أية توجهات سياسية أو إيديولوجية تعرض في مسار الثورة، وتبدو متعارضة مع قيمها التحررية والمساواتية؛ وموقف آخر يبدو بالعكس منشغلا بإظهار انحرافات الثورة عن قيم مقررة سابقة لها ومشابهة لنفسها دوما.

الثورة كاملة أو معصومة في نظر أصحاب الموقف الأول، نسميهم المتماهين، هي حق وعدل، وكل ما تفعله تاليا حق وعدل، فلا وجه للتحفظ على شيء من أنشطتها أو أعمال أية مجموعات محسوبة عليها. أو على الأقل أنه ليس مناسبا الآن، والثورة تخوض معركتها الكبرى، تسليط أي ضوء على ممارسات وخيارات مجادل فيها. أما ما هو كامل ومعصوم في نظر أصحاب الموقف الثاني، نسميهم المنفصلون، فهو معان وقيم يوالونها هم، يفاخر أصحابها بأنها هي نفسها قبل الثورة وأثناءها، ويفترض بالثورة أن تهتدي بها في كل حال. هذا يعادل عمليا مطالبة الثورة بأن تشبه حالهم وتتشبه بهم. وعدا ما في هذا الموقف من غرور، فليس في هذه الحال ما يغري بالتشبه، إن لم نقل إنه يغري بعكسه.

(2)

وقد عرفت الثورة السورية أعنف نقاش في هذا الشأن بخصوص ظهور المقاومة المسلحة. رأى المنفصلون المتشددون أن التسلح مرفوض من المبدأ، وبينما قصر آخرون شرعيته على أعمال دفاعية. جرى تحويل السلمية إلى دوغما منفصلة عن الواقع، على نحو ما كان الثورة الحمراء العنيفة هي الدوغما المقررة في عقود سابقة. أما اشتراط الدفاعية فهو أمر غريب في مواجهة نظام فائق العداونية كالنظام السوري، فوق أن التمييز بين عنف دفاعي وعنف هجومي ليس سهلا دوما حتى بالمعنى التكتيكي. فهل يكون الرد على حاجز عسكري يطلق النار على بلدة ويقتل سكانها فعلا دفاعيا، فيما استهداف خطوط إمداده، أو محاولة السيطرة عليه فعلا هجوميا؟ هذا غير أن عنف الثورة كله عنف دفاعي من وجهة النظر السياسية والتاريخية، لا يتمايز عنه بدرجة ما إلا عنف مجموعات عقدية، تصدر عن فلسفة سياسية واجتماعية هجومية، مكتملة قبل الثورة وبغض النظر عن الثورة، وإن هيأت لها الثورة ظروفا مناسبة (جبهة النصرة وما شابه)، مثلها في ذلك مثل "فكر" المنفصلين وسياستهم. في الحالين لدينا "علم" مكتمل قبل الثورة وبدون الثورة، وليس هناك شيء تتعلمه من الثورة.

في مواجهة تلك الدوغما، هناك من يطور دوغما معاكسة، فيبارك عنف المقاومة المسلحة في كل حال، وينسب إليه سدادا تلقائيا، كأن ذاتا خفية معصومة توجه عمل مجموعات المقاومة الكثيرة نحو الغاية المرسومة. ولا يجد أصحاب هذا الموقف المتماهي المتشدد ما يقولونه حتى على نشاط المجموعات العدمية، مثل "جبهة النصرة"، التي تصدر كما قلنا عن فلسفة مغايرة كليا للمحركات الاجتماعية والوطنية للثورة ولذاكرتها.

والواقع أن الموقف من هذه المجموعات، والتعبيرات الدينية الإسلامية عن الثورة ككل، هو أيضا أحد محاور النقاش الحاد بدوره في الثورة. المنفصلون يجدون في ظهور المجموعات العدمية ما يسوغ مزيدا من الانفصال عن الثورة والاشتراط عليها، علما أن الأمر يتعلق بنتاج جانبي لحرب النظام، نال تضخيما كبيرا بفعل تفضيلات وسائل الإعلام الغربية. أما المتماهون فيقبلون الثورة كلها، ويقبلون كل ما يحدث في كنفها. وعلى نحو لا مفر منه في سياقاتنا السورية يختلط الموقف من هذه المجموعات بالحسابات والحساسيات الطائفية.

(3)

المتماهون شعبويون، ينسبون صلاحا وعدالة أصليين إلى عمليات الاحتجاج والمقاومة الشعبية. وفي الغالب يجري رد الشعب إلى صورة إيديولوجية مبسطة عنه، تلغي عنه التركيب والتناقض والتعدد، مع ما هو معلوم من فوارق جهوية وطبقية وطائفية مهمة ضمن المجتمع السوري، أو حتى ضمن طيف البيئات المنخرطة في الثورة. ويفترض الشعبويون أن "الشعب" سعيد بموقفهم، وأنهم على هذا النحو يعبرون عن احترامهم له وثقتهم به. لكن الشعبوية اختراع نخبوي، وسياسة المتماهين تؤول إلى استبداد نخبوي جديد باسم شعب من صنع خيال طامحين إلى السلطة أكثر من أي شيء آخر.

أما المنفصلون فهم ينسبون الحكمة والصلاح والكمال إلى علمهم هم، ومآل سياستهم استبداد نخبوي، يحتكر الشرح الصحيح لقيم الوطنية والتحرر مثل حزب البعث ومثل الأحزاب الشيوعية، ويحقنها لجمهور غافل معرض للزلل في كل حال في غياب موجهين عقائديين يهدونه إلى الصواب.

على أن غير قليل من المنفصلين السوريين انتهازيون، يضعون قدما هنا وقدما هناك، ويقول كلاما قابلا لتأويلين. فإذا فازت الثورة لفتوا إلى ما في مواقفهم من اعتراض على النظام وأساليبه واعتباره "المسؤول الرئيسي" عن أوضاع البلاد، وإن فاز النظام كانوا "وطنيين" ومعادين للعسكرة والمقاومة المسلحة.

(4)

لكن إذا كان التماهي بالثورة يُفقدها ما تحتاج إليه من نقد، والثورة أصلا فعل نقدي، وإذا كان الانفصال عنها يجعل النقد خارجيا وغير حساس لمساراتها المعقدة وتحولاتها السياسة والفكرية والنفسية، فهل من موقع أنسب يمكن لمواقفنا فيه أن تكون الأصوب؟ نقدر أن هذا الموقع هو الانحياز إلى الثورة والتفاعل مع عملياتها ومساراتها عن قرب، وتعديل تصوراتنا ومراجعة أحكامنا مع تطور العملية الثورية. الانفصال موقف لا ثوري تكوينيا، ينكر ذاتية الثورة وإبداعيتها وطاقاتها التوليدية، ولا يشعر بالحاجة إلى تعلم شيء منها؛ والتماهي بدوره يلغي التفاعل حين يُسبغ على الثورة إيجابية وإبداعية مطلقتَين، ويجعل من المثقف العام والناشط العام وكلاء سلبيين لسيرها "الموضوعي".

ضد المتماهين، لا نرى وجها لاعتبار أفعال الثورة كلها متماثلة في القيمة الذاتية أو في التوافق مع التطلعات التأسيسية للثورة. هل يعقل أن تفجيرا انتحاريا تقوم "جبهة النصرة"، أو رمي جثث شبيحة مفترضين من سطح بناية في مدينة الباب في آب الماضي، أو توقيف فداء عيتاني من قبل لواء عاصفة الشمال بذريعة أن عمله "لا يناسب مسار الثورة" (يا له من تعبير!) لها القيمة الأخلاقية ذاتها لمحاصرة فرع الأمن الجوي في حلب، أو للعمل في مشفى ميداني في حي أو بلدة تتعرض للقصف من قوات النظام، أو مساعدة السكان في تسيير شؤون الحياة اليومية في "المناطق المحررة"؟ نميز كي نعمل على تغليب أنشطة الثورة التي تضر النظام وتنصر الشعب، وكي ننتقد ونساعد في عزل الأنشطة التي تسيء للثورة، كعملية مقاومة وكقيم تحررية.

وضد المنفصلين نرى أن الثورة عادلة جوهريا، وأن النظام معتد وإجرامي جوهريا، وأن أيا من ممارسات الثائرين الجائرة لا تضفي النسبية على جور النظام أو تجعل الثورة صراعا بين أشرار. ضد المنفصلين أيضا نريد تحمل المسؤولية كاملة عن وضعنا، وقول كلام واضح لا يقبل تأويلات متعددة، ودون ترصد زلات الثورة أو أي من مكوناتها. لسنا ضيوفا في ثورة شعبنا، ولا جالسين على الخط نتذمر من خشونة لعب اللاعبين. تسوؤنا ممارسات الثائرين الخاطئة أو الطائشة، ونسعد بأن لا تقع

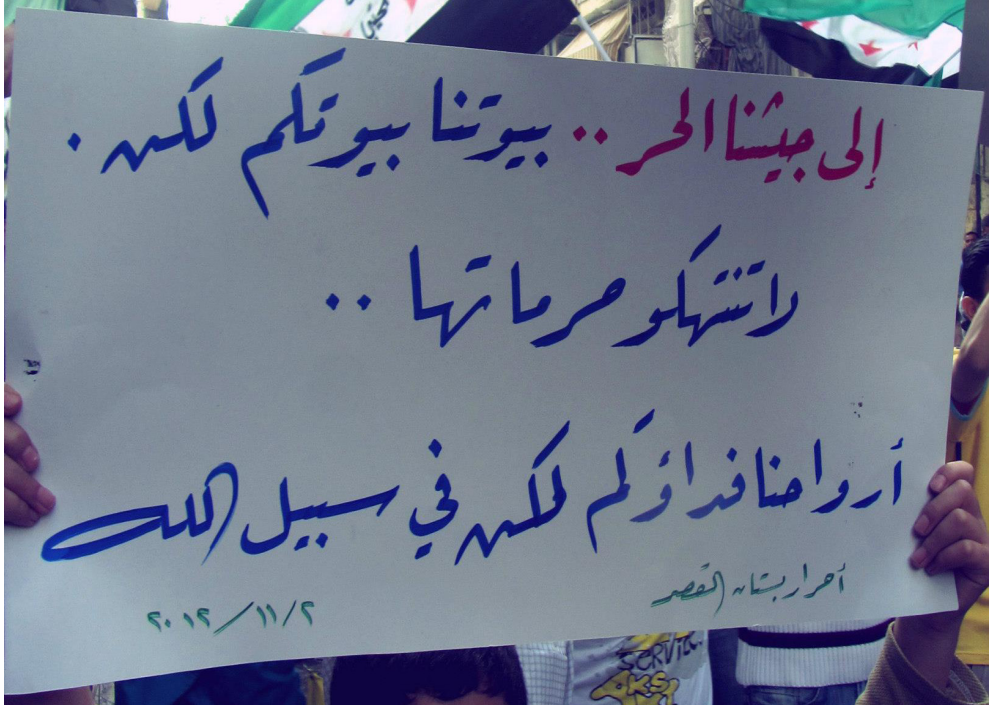

أو يقل وقوعها، لكن لا نستخدمها دليلا على صحة أقوالنا البائتة، ولا نحتاج إلى أخطاء الثورة للانتصار لأنفسنا الصغيرة.

إن قول الشيء نفسه قبل الثورة وأثناءها، أو منذ بداياتها حتى اليوم، يعادل في الواقع عدم الاعتراف بها، لا كفاعلية مقاومة وتمرد، ولا كعملية اجتماعية وتاريخية، ولا كأهداف لا تنفصل عن الممارسة العملية.

أما اعتبار القول الوحيد الصحيح هو ما تقوله الثورة الآن، فهو ينكر تاريخيتها، والحاجة إلى النظر إليها ككل خلال نحو 20 شهرا حتى اليوم، وليس إلى لحظتها الراهنة وحدها. فوق أن هذا الموقف يغفل الطابع المركب جدا للثورة، وتعدد أصواتها وتعبيراتها وتناقضها، ولا مركزيتها الشديدة. وبما أن تعبيرات الثورة وأصواتها المتعددة لا تتناسق ذاتيا باتجاه تحقيق أهدافها المفترضة، فيلزم أن تطور أنشطة تناسقية. وهو ما يقتضي أن نعترض على أفعالنا أو أفعال بعضنا باسم تصور للمصلحة العام للثورة تجري مراجعته على الدوام.

(5)

نحن لا نأتي إلى الثورة خاليي الذهن، بل نشارك فيها حاملين معارف وقيما وتفضيلات، مثل جميع الثائرين، لكننا نمارس فيها دورا نوعيا، يتمثل في شرح ما يجري والاستناد إلى مسار الثورة الكلي لفهم تطوراتها في أي وضع محدد. المثقف المشارك في الثورة لا ينقل وعيا ناجزا إليها من خارجها، بل هو لا يكف عن مراجعة ما لديه من وعي من أجل فهم أفضل لمسارات الثورة وعملياتها وتحولاتها. قد يمكن القول إن الثورة تنقل إليه وعيا يختلط بوعيه ويدفعه إلى مراجعته وتجديد تفكيره في عملية تفاعل جدلية.

في كل الأحوال يتعلق الأمر بتمايز وظيفي ضمن الثورة، أو تطوير مكون ثقافي لها على نحو ما نتكلم على مكون مدني ومكون عسكري ومكون إعلامي إلخ، وليس بإدخال قيم من خارج على ما يتصور المنفصلون، ولا باكتفاء ذاتي على ما يفضل المتماهون.

وبهذا فالانحياز موقف تفاعلي، يحتفظ بمسافة نقدية هي التي يمحوها التماهي، لكنه يرفض النقد الخارجي الذي لا يمارس غيره المنفصلون. أثناء الثورة، وبالتفاعل مع مقاوماتها وما تتعرض له من حرب وحشية من طرف النظام، يحتمل للانحياز أن ينقلب إلى تماه أو يقترب منه كثيرا. ويصعب أن يقاوم الكاتب والناشط المنحاز إليها تطوير موقف نضالي وممارسة التعبئة السياسية، بداعي أنه مثقف ينتقد ولا يتماهى، وعمله بالأحرى هو التفريغ وليس التعبئة. أقر أن كنت عرضة لهذا التجاذب طوال الثورة، ولست متأكدا إني وجدت حلولا مناسبة لمشكلة تضيق المسافة بين الانحياز والتماهي. أما الانفصال فلم أكن مهددا به إلا في نظر بعض المتماهين المتشددين.

ولا أرى في الواقع كيف لموقفين متصلبين مثل الانفصال أو التماهي أن يكونا موقفين ديمقراطيين، أو يتوافقان مع ثورة ديمقراطية. واحدٌ منهما يرفض التفاعل مع عملية اجتماعية وسياسية كبرى كالثورة السورية، والآخر أيضا يرفض التفاعل. الأول ينسب الذاتية لمذهبه المكتمل سلفا، والآخر للسير التلقائي للثورة.

ما يمكن أن يؤسس لسياسة ديمقراطية وأخلاقية ديمقراطية هو الموقف المنحاز مبدئيا، والمتفاعل عمليا، والحساس للزمن والتحولات النفسية والاجتماعية للثورة. الموقف الذي لا يتخلى عن حق النقد من جهة، وعن التبصر في الوضع السياسي الفعلي من جهة أخرى.

(6)

ثم أنه ليس هناك موقف عادل في الثورة ومنها إن لم يكن حساسا سياسيا، يستحضر مساراتها الفعلية وإكراهاتها وتغيرات تركيبها. وهذا يعيد النقاش كله إلى السياسة وإلى الملابسات الفعلية لتطور الثورة وظروفها وظهور مكوناتها المتنوعة، والاضطرارات التي فرضت عليها.

ومن الحساسية السياسية التنبه إلى دور الزمن ومراحل الثورة. وفقا للمعايير التي نعتمدها يمكن تمييز أطوار متعددة خلال نحو عشرين شهرا. أما في سياقنا فيمكن التمييز بين طورين كبيرين، طور كانت الثورة تعرف فيه بتطلعاتها الإيجابية إلى سورية جديدة، أكثر عدالة وحرية وإنسانية، فيما يبدو إسقاط النظام مدر ممر إلى تلك التطلعات، ثم مع طول إقامتنا في الممر أخذ يتلاءم طور ثان صار يغلب فيه تعريف الثورة بهدفها السلبي، التخلص من النظام الأسدي. يصعب تحديد نقطة التحول: لعلها حصار وتدمير بابا عمرو في شباط 2012، لكن لا ريب أننا الآن في هذا الطور الثاني الذي يستأثر فيه الصراع الشامل ضد النظام بطاقات الثائرين السوريين.

لهذا التحول مستتبعاته المهمة. فحين يغدو الصراع مع النظام صراع حياة أو موت، تتراجع حمولته القيمية، ولا يحتمل خوضه ترددات ووساوس أخلاقية، وقد ينقلب إلى صراع مطلق أو عدمي. يغدو كسب المواجهة هو الهدف، ولا يبقى من الطاقات ما يتجه لشيء آخر. ويتصدر في هذا الضرب من الصراع القوى الأكثر تطابقا مع مواجهة مطلقة أو تقترب من أن تكون كذلك. المعضلة التي نجد أنفسنا فيها في مثل هذا الوضع هو أنه لا بد من خوض الصراع المفروض للتخلص من القاتل، لكن هذا النوع من الصراع الوجودي لا يحمل أية ضمانات ذاتية لأن لا ينقلب إلى صراع عدمي، هو هدف ذاته، ولا هدف له يتجاوزه أو يعلو عليه.

أقرب شيء نراه إلى مخرج من هذه المعضلة هو محاولة الجمع بين فاعلية المقاومة، مع تبين الإكراهات التي تواجهها هذه المقاومة من جهة، وبين استحضار البعد القيمي الخاص بالعدالة والحرية في ممارسات المقاومة من جهة أخرى. وينبغي الإقرار أنه في شروطنا السورية قلما يتماسك هذا الجمع بفعل حدة الصراع ذاته، وهو في كل لحظة معرض للتفكك إلى فاعلية بلا ضوابط قيمية، وقيم مجردة ومعزولة على نحو ما كان الحال قبل الثورة.

وهو ما يعززه في حالتنا السورية شرطنا الخاص. فليس للثورة مركز قيادي على شكل جبهة سياسية أو قيادة عسكرية أو وجهة إيديولوجية محددة، أو شخص يحظى بإجماع. وتاليا فلا مجال لتعميم أية تصورات أو خلاصات يجري التوصل إليها في أية مواقع من الثورة.

لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وإن لم تثمر عمليا جهود الجمع بين فاعلية المقاومة وأخلاقيتها، فإنها تسهم في صون كرامة الثورة. المعركة مفروضة، والجهة العامة للعمل اليوم هي خوضها إلى حين يتحقق هدفها الأول، التخلص من النظام. ليس لدينا بديل آخر.

بين تشكيلة المواقف المعروفة في الثورة ليس هناك موقف لا يقود إلى معضلات وتناقضات، لكن خوض معركة إسقاط نظام الطغيان إلى النهاية هو، بعد كل حساب، الموقف الأقل تناقضا والأكثر عدالة.

المستقبل 4 / 11 / 2012

كتاب العدد: القوقعة.. يوميات متلصص

القوقعة.. يوميات متلصص، للروائي: مصطفى خليفة، الرواية الأكثر ألما والتي تتناول حال السجين السوري في تدمر، سجن تدمر هو أكثر السجون إيلاما في الذاكرة السورية بكل ما ارتبط به من شدة في التعامل تجعله الدرك الأسفل في جحيم السجون السورية.

الرواية تدور حول مواطن مسيحي اعتقل لثلاثة عشر عاما في السجون السورية بتهمة الانتماء للإخوان المسلمين!!، ليس الكاتب هو ذلك الشخص وذلك الشخص ليس متخيلاً أيضاً، لقد عرفه الكاتب معرفة وثيقة قبل أن يصدر روايته التي تذكر قصته -الحقيقية بكافة تفاصيلها - و قد اعتقل هو بدوره سنين طوالاً.

تقع الرواية في 156 صفحة و نشرتها دار الآداب في بيروت 2008 بعد أن نشرت أولا بالفرنسية ثم ترجمت لاحقاً.

عن هوية القاتل
مجزرة معرة النعمان

■ كفاح بدر الدين - معرة النعمان

8 تشرين الأول 2012 (المكان: معتقل المركز الثقافي)

كانت ليلة ساخنة، رائحة شيء محروق تفوح من الأجساد، - أو بشكل أدق - قبل أن أكمل يجب القول أن ما سأحكيه مقرف كما كل الليلة والستون ليلة التي قضيتها في هذا المكان.

هذا القبو تحت الأرض، تحت المكتبة العامرة بالكتب التي تتحدث عن التطوير والتحديث ومقاومة الإمبريالية والإنسان عصب المقاومة لم يترك لنا ماء وجه يُخجلنا من البذاءة، ارتكبوا فينا كل البذاءة ومصوا ماء وجوهنا - الرائحة كانت تفوح من المؤخرات -، تحديداً مما تركته المؤخرات على الأرض.

سؤال كبير سيطرح حول لماذا كنتم تتغوطون كالبهائم على الأرض؟ الجواب من شقين، أولهما أن التغوط في كثير من الأحيان لم يكن إرادياً، الكهرباء المعلقة بنا من الرأس إلى الأخمص كانت تُفقدنا الإرادة والقدرة على حبس المعدة، كنا نترك كل شيء تحتنا، صُراخنا، شُعورنا، ذاكرتنا، أمنياتنا، وطبعاً بُرازنا والبول، سبب آخر غير الكهرباء كان يجبرنا على إخراجه، القفز على البطن. الشبيح البغل كان يجري كل تدريباته الرياضية على أجسادنا، بدءاً من الركل وتسديد اللكمات وحتى القفز للرشاقة، كان فتاكاً. الشق الآخر من جواب لماذا، لأننا كنا نهرب من الخروج الصباحي إلى الحمامات. تلك الرحلة كانت موتاً يومياً، الضرب بالكرابيج والعصي طوال الطريق، وإجبارنا على السير حفاة والدوس على كل القذارة الممتدة حول المكان حيث كانوا يبولون متعمدين مبالغين في تقذيرنا، والشتائم التي تغسلنا غسلاً برعاية وإبداع الضابط - أبو ساطور - والذي لم أجد في لهجته قاف الساحل الفجة التي كنت أبحث عنها بل كل لعثمة لهجة السهل، كان أبو ساطور عميد جلادي المركز الثقافي في زمن الثورة وحتى آخر يوم في حياته من البلد مهد الثورة، للأسف. وقد سميناه هكذا لأنه كان يكسّر الإنسان من الداخل، كما يفعل الساطور، وقطع بولنا بفتح الباب فجأة ونحن في المنتصف، والضرب المركز عندما نحاول أن نغسل أيدينا مما تعلق بها. الرائحة كانت تفوح أيضاً من القناني الممتلئة بالبول، والتي كنا نعبؤها ونصطحبها معنا كل يومين لنفرغها هناك، محاولين توفير يوم أو يومين من الموت القذر. كنا نخبؤها تحت القصدير الذي يلف المواسير التي كانت معدة لتمد المركز الثقافي والمثقفين بالتبريد المركزي.

كنا 46 معتقلاً بلا أقل حقوق السجناء، لا مذكرة اعتقال، لا تهمة واضحة، لا محاكمة، لا مكان للجلوس، لا باب بنافذة، لا سرير سجين، لا اسم، ولا حتى رقم. سأحاول تجاوز كل محيط النسيان والمجهول والمعدوم هذا وأعرف عني، أنا حسين، 16 سنة بحسب تاريخ الميلاد، اعتقلت أو بلفظٍ أصح اختطفت، وبعد جلسات تعذيب مكثفٍ استخدمت فيها كل الأدوات تقريباً والأساليب، اعترفت بخطفي لمقدم في الجيش وعقيد، وباستهدافي لعشرات الحواجز وقتل من فيها، وبأني كنت في وقت الفراغ أو عند قلة الذخيرة أتسلى بالتشليح على الطرقات، حتى شلحت أكثر من عشر سيارات يملكها أبناء قريتي، وبأني كنت أتقاضى على هذا أكثر من خمسة ملايين ليرة سورية شهرياً.

استغربت كيف لم يثبتوا أول تهمة أني أدرك أن الفيسبوك موقع انترنت وليس ملفاً على الجهاز، وأني أعرف جيداً استخدامه. وأنهم عندما أمسكوا بي كنت أحمل أداة الجريمة، كتابٌ يحكي عن النهاية. على ذكر الكتاب، أنا كنت معتقلاً في المركز الثقافي في مدينة معرة النعمان، وهذه مصيبة أخرى. كان عليهم مهمة تطبيق كل ما في الكتب المحتوية على أفكار القائد الخالد علينا. على ظهورنا رسموا خريطة سوريا الكاملة بعد تحرير الجولان والإسكندرون، وفي مؤخراتنا نفذت إحدى الخطط العسكرية للتحرير والفتح. أنا لا أمزح، كنا نُغتصب بشكل متكرر ومعتاد، كان الخازوق يخترقنا إلى عمقنا، وسعيد الحظ من يحظى بدهن مادة مُلينة على المكان قبل الدحش، هذا إذا لم يفترض القائم بالمهمة أن المادة أمريكية يجب مكافحتها، أو أنها منهكة لخزينة الدولة. الخازوق كان خشبة مدببة، تشبه شكل مجموعة تستعد للاقتحام، كنا نُقتحم. وعلى بقية الجسد كانت معاناة الإنسان المحاصر من المؤامرة العالمية الإمبريالية الماسونية الصهيونية الإرهابية العميلة تصرخ بأقوى صوتها.

نوبة الليلة عند أبو ساطور، ليلةٌ لمغامراته الكبيرة وبطولاته، وأنا الطرف المسحوق. مسرح العملية كانت الغرفة التي حُبست فيها ثلاثين ليلة متواصلة مربوط اليدين مطمش العينين حتى أكل النمل من وجهي وأذني بدون أن أستطيع أن أفعل له أي شيء.

في الطريق من الزنزانة الجماعية والتي أفضل أن أسميها قبراً جماعياً إلى غرفة التحقيق كان مشهد دعارة على اليمين، معتقلان عاريان وخمسة مشاهدين قتلة، وصراخ: ركاب عليه، يلا فوتو فوتو "

برفسة واحدة انتقلت من باب الغرفة إلى آخرها، وبلا مقدمات، هكذا بدأت الليلة:

- شغلّو ليسمع بركي بتتحرك النخوة تبعو.

تصرخ الأغنية: "يا بشار، متلك مين أنتا يا عالي الجبيبيين.. شو ما صار، ما منلين نحنا جنودك ملايين.. يا بشاااار، يا أسد يا حبيب الملايين.. خلو الصوت، يشعل نااااار"

الضرب سبق الأغنية واستمر بالتزامن معها، وكان يزداد أو يقل بحسب موسيقى الأغنية، في محاولة لضبط رقص جسدي من الألم على إيقاعها. بينما يكمل أبو ساطور استعداداته ويتأكد من أسلحته وأدواته وينظر إلي متشفياً.

- شكلو ما عجبتك الغنية، ما هيك؟ دلعو للنعنوع. بدي تعلمه السباحة والغطس والطيران كمان.

بالحبل المنصوب كمشنقة ربط يدي من الخلف، سحب السجان المساعد طرفه المتدلي حتى صرت نائماً على السقف. وابتدأت معاركي مع الجاذبية والعصا وآلام العظام ورغبتها بالتفكك والسقوط. لما ملّ من ضربي وأنا بهذا الشكل، أنزلني وربطني من قدميّ، شد الطرف المتدلي من الحبل، تدليت أنا مشنوقاً من القدمين، الرأس إلى أسفل والقدمان إلى أعلى، يدفعني ويصرخ: يلا طير يا عرعور، هلأ بدك تطير، طير. عندما عجزت عن الطيران ولم تتحول يداي إلى جناحين صار يراجع دروس ملاكمته والكاراتيه على الكيس البشري المعلق أمامه، لكم وركل كل مكان: هلأ بدك تعترف بكل جرائمك يا واطي. : سيدي اعترفتلكن بكل شي. : لا لسا، عمتخبي علينا، غطسو لشوف بركي بيعترف.

وأنا معلقٌ متدلي دفن وجهي في سطل الماء المغلي، بدأت أرفرف كدجاجة تحاول الطيران - هرباً من الغرق - الغرق بالموجة العاتية أو بدمها الذي انفجر من نهش - الذئب العجوز -، رأيت الموت.. سحب رأسي: بدك تعترف. دفنه ثانية، لما عاد وسحبني اندفعت الكلمات من حلقي: سيدي خلص، بدي اعترف، أنا هجمت عالجيش كتير، كل يوم كنت أهجم، سلبت أسلحتهم، اغتصبت نسوانهم وأخدتن سبايا، فجرت، دمرت، دخلت إرهابيين، عملت الجرائم كلا.

أفلت الحبل، سقطت دفعة واحدة، حاولت الإستناد على الحائط، الحائط الذي كان أفضل صديق طول مدة الاعتقال، كان يساعدني على الوقوف، يسندني ويمنعني من الانهيار، يسندني وألتف، يسندني وأقعد عندما أتعب من الوقوف، يحك وجهي محاولاً إبعاد النمل عنه، وعندما تكون الطماشة ضيقة يساعدني على رفعها للأعلى لأتنفس قليلاً وأتفحص المكان ثم يعيدها معي، كنت أتكأ عليه وأحكي له كل أوجاعي، حكيت له حتى أسرار، لم يعترف بشيء ولم يبح برغم الجلد الذي ناله. لما لم أستطع أن أستند سقطت. قماشةٌ مشبعةٌ بالماء الساخن غطت وجهي، وصاحب الفتوحات دعس عليها حتى انقطعت أنفاسي.

من صباح المسلخ الثقافي:

لا أدري ما الذي فتح ذلك النوع من الجروح هذا الصباح، حنينٌ عميقٌ وشجنٌ انتاب الجميع تقريباً، سنخرج وعاجلاً كان الأمل الذي اجتاح المكان خصوصاً بعد أصوات الرصاص التي لم تتوقف منذ البارحة متزامنةً مع دعوات الانشقاق الموجهة للجنود على الحواجز ولمن في المركز، كان شعور بأن التحرير اقترب من هنا، تحرير الروح والعقل والجسد. واحد منا فقط لم يكن متفائلاً أو لم يكن لديه سببٌ للتفاؤل، لقد فقد كل عائلته، ولو خرج فسيخرج للفراغ السحيق.

أخرجونا للحمامات، كانت القناني المعبأة في جيوبنا، أفرغناها وعدنا. أبو ساطور أزعجته مسحة التفاؤل التي لم

أستطع إخفاؤها من وجهي، جذبني إليه وزفر في أذني: شو مفكر رح يطلّعوك الإرهابيين؟ واللّه ما رح تطلع إلا ميت ورح نزتك عالأوتستراد. التوتر كان باديا على وجوههم ومن حركاتهم السريعة على غير العادة.

بعدما عدنا عادت الأحاديث المالحة، كلهم استنتجوا ذات الشيء من ملامح القتلة وتحركاتهم، ذكرياتنا وآمالنا قطعها فتح الباب المفاجيء، صرخوا بأن الإرهابيين اقتربوا وأنهم يحاولون حمايتنا منهم، أمرونا بالوقوف والاتجاه إلى الحائط، بلا مقدمات فُتحت البواريد علينا، بدؤوا من أول الغرفة وأكملوا الصف إلى النهاية، انحنيت في اللحظة الأخيرة وانبطحت على الرجل الغارق بدمائه جانبي بينما استقرت الرصاصة فوق رأسي، أغلقوا الباب وانسحبوا سريعا. دقيقتان من الهدوء بدأ بعدها الذين بقوا أحياء بمحاولة استيعاب ما حصل، مروان الدغيم المعتقل الجرجنازي كان يزحف بخمس رصاصات ويستجدي مساعدتي، حاول المقاومة حتى النهاية ولما تعب نام في مكانه وإلى الأبد، حاج خمسيني اخترقت الرصاصة ظهره وخرجت لم يحتمل فمات مباشرة، الرجل الذي كان متشائماً، نظر إلى الفراغ وسقط فيه، أسامة خاف أن يضيع في المقبرة الجماعية والحصيلة الجماعية والخبر الجماعي فغمس يده بدمه ودم الشهداء وكتب على الحائط: أسامة، كفرزيتا. الغرفة امتلأت بفوارغ الرصاص وبالدم وبالموتى، العديد صاروا يزحفون محاولين الخروج من الباب للبحث عن من يساعدهم بعضهم استسلم في الطريق.

الثوار وصلوا وبدؤوا بإخراجنا، حاولت أن أمشي، لم أستطع من قشعريرة الموت التي اجتاحتني ولم تسيطر علي، كانت الرصاصة قريبة جداً من رأسي، تعثرت بشهيدين، وبجثة أحد القتلة الذي أكل الرعب وجهه، وفتح فمه وعيناه ويداه للموت.

من 46 معتقلاً في الغرفة، نجى 16 فقط، معظمهم أصيبوا، بعضهم إصابات بليغة، ماعدا الذين استشهدوا في الغرفة الأخرى المخصصة للعساكر والذين كان عددهم مقارباً لعدد الذين نجوا منا.

تقرير أيام الحرية الأسبوع الأول من تشرين الثاني

نسيبة هلال - اللجنة الإعلامية لأيام الحرية

جاء العيد حزينا ورحل باكيا على هدنة لم تنفذ، هدنة ذهبت بصرخات الأطفال ودموع الأمهات..

عيد مر ليس كأي عيد.. خرج فيه الأطفال ليلعبوا بالأراجيح ويستمتعوا بالعيد، عاد بعضهم مصابا إلى المشافي، وبعضهم عاد بأكفان وردية، ليغسل بدموع والديه.

يوما بعد يوم تزداد وحشية النظام وعشوائيته في القتل، وتزداد الثورة اشتعالا في نفوس السوريين، وتتحول المدن السورية إلى مدن أشباح يحل فيها الخراب وتفرغ من سكانها هربا من القصف والقنص والقتل.

لم يبق أمام السوريين من أمل سوى توحيد جهودهم لتقوى صفوفهم في وجه النظام، حتى يسقط. فكم نحتاج هذه الأيام إلى إسقاط خلافاتنا جانبا والتعويل على حبنا للوطن لنصبح جبهة واحدة ضد أعتى نظام عرفته البشرية.

ما زالت الثورة السورية مشتعلة.. ومازالت أيام الحرية مشاركة فيها.

فخلال الأيام الماضية استمرت النشاطات الثورية التي ساهمت فيها أيام الحرية. ففي منطقة برزة في دمشق وفي أيام العيد، وبعد الضغط الكبير الذي تعرض له الأطفال خلال عام ونصف من عمر الثورة السورية ترك أثره في نفسية الأطفال، كان لا بد من نشاط للتخفيف عنهم، وإخراجهم من أجواء القصف التي يعيشونها كل يوم، كما وأنه لا يوجد طفل في الحي إلا وقد استشهد أحد أقاربه، أو غيبه النظام في المعتقلات، أو قام الشبيحة باختطافه، فكان لا بد من العمل على إخراجهم من الضغط النفسي المتواصل الذي يتعرضون له. وبما أن معظم أهالي الحي قد فقدوا عملهم، ناهيك عن العائلات التي فقدت معيلها باستشهاده، فكان الهدف الأساسي من المشروع هو تقديم جميع الخدمات مجاناً (الطعام - الألعاب - المسابقات) لتخفيف العبء المالي الذي يتعرض له أهالي الحي. فقد عمل الناشطون على مدار أربع أيام (أيام عيد الأضحى المبارك) على إدارة الساحة بأنفسهم فقاموا بإدارة الألعاب (هز المراجيح) وتوزيع الطعام على الأطفال والحفاظ على سلامتهم، لتكتمل أيام العيد بتحقيق الهدف من إقامة المشروع وهو إدخال الفرحة ولو بشكل جزئي إلى قلوب الأطفال.

أيام الحرّية

و كانت جميع الخدمات ضمن الساحة مجانية بما فيها الطعام، وجميع العاملين ضمن الساحة كان عملهم تطوعياً، وكان شعارهم: نحن ثوار نعم، إلا أننا نحب الحياة.

و بما أن حرب النظام على الشعب السوري الثائر تزيد يوما بعد يوم، أصبح من الضروري نشر ثقافة الدفاع المدني وطرق التعامل مع الكوارث وتوفير المواد الغذائية والرعاية الصحية في الأزمات.

لذلك قامت أيام الحرية بتوزيع منشور كيف نتعامل مع القنابل العنقودية والقذائف غير المنفجرة.

كما قامت أيام الحرية بعمل منشورات عن العدل في حقوق العمال حيث عرّف المنشور بقانون العمل السوري، وبين ما للعمال من حقوق مثل عدم تأخير صرف الرواتب والحق بالمعاملة العادلة.

أيضا قامت أيام الحرية بنشر مناشير احتياطات يمكن الأخذ بها في حال توقع مداهمات، منها: كيف يمكنك حماية مالك، ومعلوماتك وجوالك وحاسبك. تحسبا لمزيد من الاعتقالات التي تطال النشطاء.

و ستبقى الثورة مشتعلة حتى إسقاط النظام وبناء مجتمع الحرية.

مع أيام الحرية شاركنا الثورة.

صـــغار

■ هنادي زحلوط

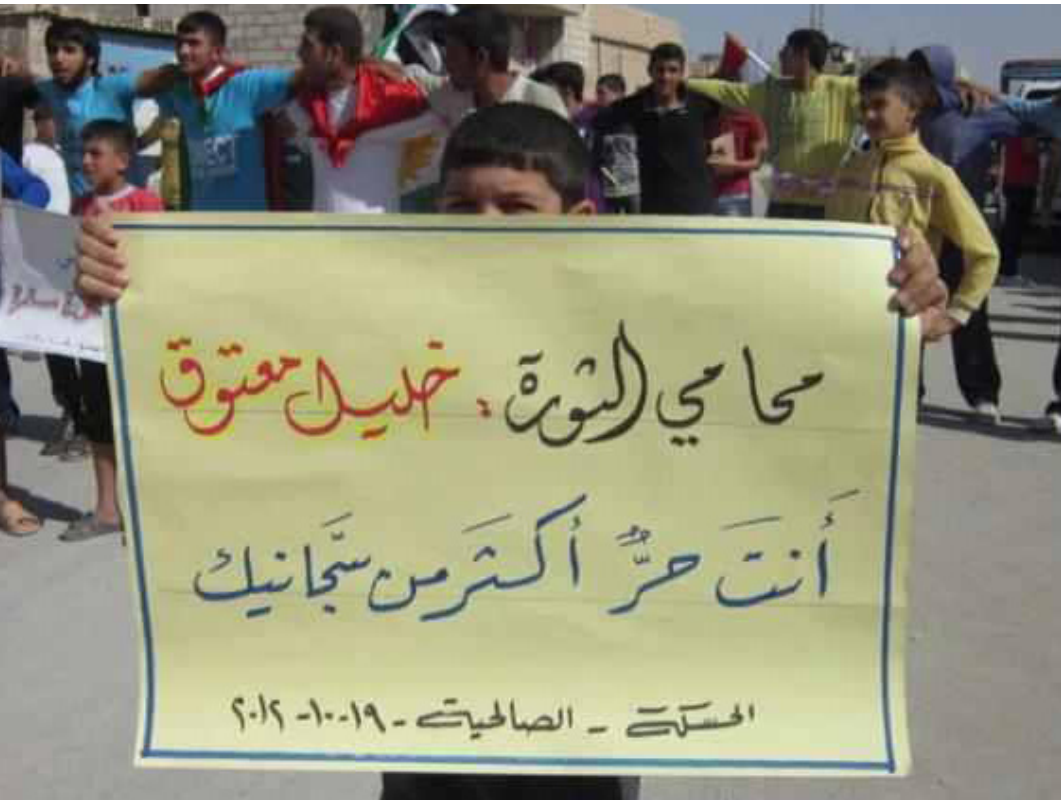

أنا متوترة منذ الصباح، لقد مر أسبوع على دخولي رحم سجن "عـدرا"، ولا أعلم بالضبـط متى أولـد منه مـن جديد. أمس طلب رؤيتـي مندوب الـوكالات، طلب مني التوقيـع علـى توكيلي لمحـام جديد، وقال لي على عجـل: "المحامي من طرف أخوكِ السيد نبيل"!

كدت أنسـى حقا أن لي إخوة، فالبقاء في الأقبية المظلمة الباردة، وعدم التحدث مع أمـي عبر الهاتـف، كما كنـت أفعل كل يوم، وعدم مشاهدتي لقناة "الدنيا" بشكل اضطـراري كلما ذهبـت لمنـزل أهلي في اللاذقيـة، وهذا ما كان يحدث كل أسـبوع، هـذا الحصـار فـي الاعتقـال والتحقيـق والمـرض لثـلاث شُـهور مضت، أنسـاني أن لـي إخوة! هـل تذكرني أمـي حقا؟ هل اتصلـت بأخي ليوكل لـي محام، هل صرخ أبـي مطالبـا برؤيتـي مـن فراشـه، مزيلا الأوكسجين عن وجهة الحبيب؟

نبيـل، أخي الـذي يكبرني بسـنتين، طبيـب أطفـال سـافر منـذ عامـين إلـى السـعودية، اليـد الحانيـة علـى أمـي منذ نعومة أظافـره، فقدته هي، بسـفره، ابنا مطيعـا، وفقدته أنا، أخـا داعما لي ولتوقي لأعبّر عـن نفسـي بوضوح. اسـمه اليوم يوترنـي، ولا أعـرف إن كان فرحا أم خوفا، ملك كذلك في بالـي منذ الصباح، لا يعقل أن تتأخر أكثر في فرع "الأمن السياسي": - لازم تجي رفيقتي ملـك اليوم! هكذا أقول بجزم وقلق، لصديقاتي في غرفة "الإيداع" وتابعت تجفيف أرض الغرفة!

أبتلـع الفاصولياء الخضراء مع البرغل على الغداء، أسـمع صوت بـاب الجناح يفتح مـن آخـر الممـر، أعـرف أن "أبا نغـم" جاء ومعـه سـجينات أخريـات، يصلنـي صوت قدمين تـركلان الحـذاء بلا مبـالاة، ألتفت إلـى البـاب، فـأراه يفتـح لتعبر منـه قدما فتـاة تلبس فسـتانا أسـود، وفـي قدميها "شـحاطة أصبع" تركلها أصابعها بلا مبالاة وتصفع بها الأرض! إنها ملك! ومن سـواها تعتقل للمرة الثالثة بكامل أناقتها وزينتها، و"شحاطتها"؟

أرتمـي فـي حضنهـا، مشـتاقة أنـا لجنونها، وشعرها الأصفر الذي لا أحب لونه، ولذوقهـا الغريـب في الملابـس، ولعنادها الرهيب في التظاهر وفي التحقيق!

- كيفك أنتي يا زعرة؟

- مشتاقتلك..

- لـك احزري شـو.. حولونـي اليوم ع القضـاء بعـد الظهـر ومافي ولا حـدا من محامينـا.. لا خليـل ولا سـيرين ولا حـدا.. بس القاضي كان كتير حبّاب.. سـجّل كل شـي ع السـريع.. وقله للشـرطي "وديها ع الدوريـة لتحـت وبوجهك ع السـجن.. ودير بالك عليها.. ما بدنا يصير فيها متل ما صار بالمرة الماضية..

هنود.. ليش شو صار معك؟

- واللّه يا عمري ما بعرف كيف بعتولي وحدة ضربتني.. وهيك!

- أي قلي الشـرطي.. عطاني اسمه.. وقلـي قولّي لرفيقتـك أنه اللـي ضربتها محاميـة اسـمها هـلا زحلوط.. وأنـه ترفع دعوى عليها وأنا بشـهد معها.. هنادي لازم تشتكي!

ملك شـعلة من الاعتـراض على كل شـيء، الاعتـراض لديهـا هوايـة لأوقـات الفراغ!

تجلـس ملـك مسـاء علـى الأرض قرب البـاب، تفترش "الحـرام" المخصص للجلـوس في هذا المـكان، "إنها شـرفتنا" هكذا أسـميناها، تقول لها "عفراء"، الفتاة العراقية ذات الستة عشر عاما:

- شـوفي.. ترا بيه هناك مرا شـكلها معارضة مثلكم..

- وليـش بقى خطرلـك انها معارضة متلنا؟

- شـعرها أصفـر.. وحاطـة نظـارة متلك.. وتلبس تنورة قصيرة متلك بعد!!

تنظـر ملـك إلـيّ وتلتقـي نظـرات اسـتغرابنا، تقتـرب ملك من البـاب، تنادي على المرأة التي تناهز الستين من عمرها:

- حضرتـك الدكتـورة "رفـاه"؟ "رفاه ناشد"؟

- أيوه.. فيه شي؟

تقفـز ملـك وأضحـك أنا، لقـد عثرنا على الكنز!

فالعثور على سيدة معارضة، تستطيع أن تتحدث مع السـجينات خارجا، وتستطيع أن تتحـدث معنا، يشـبه اختـراع الانترنت، فذلـك كفيـل بكسـر الحصـار المفروض علينا!

ترسـل الدكتورة "رفـاه" لنـا الجرائد التي تصلها، تلقيها إحدى سجينات "القتل"، وتهرب، نبعـث لنا بالكتـب وبداخلها أوراق بيضـاء رقيقـة تشـبه ورق الزبـدة، الآن نسـتطيع أن نكتب لها ونعيـد الأوراق بين الجرائد والكتب، إنه "ماسنجرنا" الخاص!

فـي الصبـاح تقتـرب الدكتـورة رفاه مـن بابنـا بكعبهـا عالي الصوت، تسـتغل اسـتمرارهن فـي النـوم وتدق بـاب غرفة "الإيداع" المحظورة، وتطل باسمة كشمس تشرين:

- وينها ملك؟

- بعدهـا نايمـة دكتـورة.. سـهرت للصبح عم تقرأ..

- ما تقليلي دكتورة.. أنا بقلك هنادي وانتي بتقدري تقليلي رفاه.. ليكي.. الصبح من السـاعة تسـعة للسـاعة 12 فيه ميّة فاترة بالحنفية الباردة.. بتجي فاترة شوي.. تحمموا الصبح أسهل..

- سمحولنا بسخانة وطنجرة صغيرة.. اشترياهن بخمسـمية ليرة.. عم نسخن مية فيهون.. وطنجرة ورا طنجرة..

- ليكـي أنـا بـدي أروح هلّـق قبل ما تجـي "ميـس".. إذا بدكـون شـي اكتبولي رسـالة وخلوهـا لاجي أو ابعتولـي ياها مع شي صبية "ظريفة"..

تقطـع إذاعـة السـجن أغانـي فيروز وتعلـن أسـماء السـجينات اللواتـي لديهن زيارة اليوم، الأربعاء، وبينهن اسمي!

- إلك زيارة..

ألبس على عجل الثوب الأزرق المقيت وأنزل إلى قسـم الزيارات، أتطلع من خلال القفص فأرى من بين القادمين من الطرف الآخر أخي "نبيل"!

منـذ سـنة لـم أره، ودعني آخـر مرة طالبا مني أن أعتني بنفسي.. ينظر طويلا للثوب الـذي أرتديه، يتكـىء على القفص الحديدي:

- مبسوطة هلق؟

- أنـت قاطـع كل هالمسـافة لتقلـي هالكلمتين؟

- إي..

يخبرنـي عـن أبـي المريـض، وأمي الصابـرة، والنـاس الذيـن يقتلـون فـي الشوارع:

- فيه فرامات لحمة برا.. مجازر.. نحنا متطمنين عليكي بالسـجن أكتر ما تكوني برا..

يلومنـي على مـا أوصلني إلـى هنا، دماغي العنيد: مفكرين حالكون رح تغيروا البلد؟

أفكـر "إذا مـا غيرناه نحنـا اليوم.. رح يغيروه ولادك وولادي بكرا"...

أسأله عن أولاد إخوتي، أولاد قلبي:

- ليش عم تسألي عنون؟

- مـا بيهمنـي حـدا غيـرون.. انتـوا الكبـار بتعرفـوا تحكوا إذا حـدا حكى عليّ قدامكـون.. هنن أكيد رح ينضغط عليهون كتير.. وصغار...

أبكي عندما يسـألني عـن أمي، وماذا أريد أن أقول لها:

- قـلا أنـه.. تديـر بالها علـى حالها.. وأني بحبها كتير!

تنتهـي الزيـارة بجـرس يـرنّ موجعا قلبي ومذكرًا إياي بضرورة مسح دموعي!

يمـدّ "نبيـل" يده من وراء الشـرطية التي تسـلمني ما أتى به من ثياب وطعام، ويعطينـي مبلغـا مـن المـال، ويسـتغل الفرصة ليمسـك بأطراف أصابعي، وأشـدّ علـى أصابعـه، فأنا لا أعلم متى سـألمس يـده مجددا، أضمّ يدي، وأقـف ذاهلة وهو يبتعد، وجسدي يبرد، ويبرد..

بهيج الخطيب 1899 - 1981

■ ياسر مرزوق

ولد بهيج بك الخطيب في بلدة شحيم في إقليم الخروب في لبنان عام 1899، من أسرة لبنانية عريقة لها فروع في لبنان وسوريا والأردن والسعودية وفلسطين. تلقى علومه الابتدائية والثانوية في سوق الغرب في جبل لبنان ثم انتسب إلى "الكلية الإنجيلية السورية" حيث أتقن العربية و الفرنسية والإنكليزية والتركية.

عين رئيساً لمحاسبة طرابلس عام 1918، وفي العهد الفيصلي عين موظفاً في ديوان وزارة الخارجية، ثم رئيساً لقسم الشؤون الأجنبية فيها، ومع الإنتداب الفرنسي لسوريا، عين رئيساً لديوان حاكمية دمشق، ثم مميز وزارة الداخلية ثم رئيس ديوانها. في عام 1928 أصبح مديراً للداخلية في عهد حكومات الشيخ تاج الدين الحسني، وفي عام 1932 عينته حكومة حقي العظم محافظاً لدير الزور، ثم عاد مديراً للداخلية، في 9 تموز 1939 شكل حكومة المديرين، وسمي السادة خليل رفعت للعدلية، وحسني البيطار للمالية، ويوسف عطا الله للزراعة، وعبد اللطيف الشطي للمعارف بعد أن أوقف المفوض السامي "بيو" العمل بالدستور السوري، وأنهى الحكم الوطني باستقالة الرئيس الأتاسي، ورئيس وزراءه "نصوحي البخاري"، وقرر قيام حكومة مديرين في سوريا وعهد برئاستها إلى مدير الداخلية، وقد قامت هذه الحكومة بأعمال إدارية ناجحة، دون أن يبقى مجال لأي عمل سياسي في دوائر الحكومة، وفرضت الحكومة على جميع موظفيها الابتعاد عن كل نشاط سياسي، بل عمدت إلى صرف كل موظف كبير ينتمي إلى حزب سياسي من وظيفته، فأقالت محافظ اللاذقية "مظهر باشا رسلان أحد أركان الكتلة الوطنية، من منصبه، كما أقالت الوطني "عادل العظمة" من الأمانة العامة لوزارة الداخلية.

اعتبر بهيج بك الخطيب من الموالين للانتداب الفرنسي كما اعتبر بعض الوطنيين آنذاك من الموالين للانتداب البريطاني أمثال الزعيم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وغيرهم من الشرفاء، فمنذ أن تسلم بهيج بك مهمته، قام بجولة في مختلف أنحاء سوريا، ومع أن الكتلة الوطنية كانت في وضع حرج ومتفكك، فإن أحداً من الكتلة لم يشترك في الاستقبالات الرسمية لأسباب تتعلق بالانتداب الفرنسي المباشر على سوريا وبعض المتغيرات الإقليمية والسياسية. وهكذا استمرت السيطرة الفرنسية على الحكم، فاضطر المحافظون إلى ترك مناصبهم، كما فعل إحسان الجابري محافظ اللاذقية، ونسيب البكري محافظ جبل الدروز.

استلم بهيج بك الخطيب الحكم في سوريا في ظل أجواء من التحضيرات والتحضيرات المضادة للحرب العالمية الثانية، كرئيس للدولة وكرئيس لمجلس مؤلف من مُديري الوزارات في ظل الانتداب ووقعت في عهده حوادث جسام، منها:

اغتيال عبد الرحمن الشهبندر في 7 تموز 1940 وحاول الخطيب بدفع من الفرنسيين إلصاق التهمة بالكتلة الوطنية، فاعتقل منهم قرابة الثمانين، واستطاع العديد من قادتهم الفرار ومنهم القوتلي والحفار ومردم والجابري ولجأ القوتلي للسفارة السعودية، كما حدث خلال حكمه أن استغل الأتراك الموقف، وبدأت المناوشات التركية، ولكن فرنسا لم تتحرك ولم تحم لواء اسكندرون، ولم تقاوم الأتراك عندما دخلوه في 23 تموز 1939، ولم يكن لدى حكومة بهيج الخطيب إمكانية التأثير السياسي على القرارات والمؤامرات الدولية المتخذة مسبقاً بتسليم لواء اسكندرون، فقبل استلام بهيج بك الحكم في 7 تموز 1939، ولضمان وقوف تركيا "على الحياد" أثناء الحرب، و بناء على طلب بريطانيا، سلمت فرنسا إلى تركيا لواء اسكندرون بشكل نهائي؛ ولم تخجل من تبرير موقفها بأنها لا تستطيع الدفاع عنها، في الوقت الذي كانت تخطط منذ سنين لهذا التنازل النهائي وكانت ـ لو أرادت ـ تستطيع الدفاع بجيشها بعتاده وعدته، وفي هذا اليوم أنزل العلم الفرنسي، واحتفلت تركيا احتفالاً رسمياً بضم اللواء.

بعد الكثير من الإجراءات والقرارات الغير وطنية والتي لم تُرضي الشارع السوري التي اتخذتها حكومة بهيج الخطيب صعد رجال الكتلة الوطنية مطالباتهم بإعلان إنهاء الأحكام العرفية والإفراج عن المُعتقلين السياسيين مُرغمين الفرنسيين على ذلك، ومن ثمّ عمدوا إلى تحريك الشارع من جديد لاستمرار الانتفاضة، مما أجبر حكومة بهيج الخطيب على تقديم الاستقالة بأمر من الفرنسيين، ومن ثمّ تشكيل حكومة مؤقتة بقيادة خالد العظم في 3 نيسان 1941م.

الذي استبعد الخطيب ورفض التعاون معه كونه ابتعد كثيراً عن الشعب بسياساته، وطلب منحه إجازة لمدة ثلاثة أشهر، ليُنظر في أمره لاحقاً.

يذكر الكبير "خالد العظم" في مذكراته الجزء الثاني، الصفحة 244 تقييمه لتجربة حكم الخطيب: "على أثر التصدع الذي أصاب الكتلة الوطنية في صفوفها في الأشهر الأولى من عام 1939، بسبب فشلها في إدارة حكم البلاد، وانسحاب وزرائها من الحكم، وتعيين حكومة مؤقتة رأسها السيد "بهيج الخطيب"، الذي قام بسياسة التنكيل برجال السياسة والصحافة، تذرع أعضاء الكتلة الوطنية بنشوب الحرب العالمية وأوقفوا جهودهم في سبيل الاستقلال، غير أن الحقيقة لم تكن كذلك، بل كان مرد انسحاب الكتلويين من الميدان السياسي هو تفرق كلمتهم، وشعورهم بأن البلد انصرفت عنهم ولم تعد مستعدة لتأييدهم، والسير خلفهم على العمياء، كما كانت تفعل منذ عام 1928.

في 20 أيلول عام 1941 عين الخطيب وزيراً للداخلية بالوكالة في وزارة حسن الحكيم، وفي عام 1943 عين محافظاً للواء دمشق. ثمّ سُرّح من منصبه فعاد إلى لبنان مسقط رأسه وتوفي هناك.

يكاد المؤرخون وكتاب المذكرات مجمعين، على فشل حكومة المديرين ورئيسها، واعتباره موالياً للفرنسيين فقط، ولنا تأييد هذا التوجه، إلا أن محاكمة الخطيب سياسياً غير جائزة، فهو لم يكن يوماً من رجالاتها، وقد أجمع المؤرخون على كفاءة حكومته من الناحية الإدارية، أما تحميله وزر الحوادث التي جرت في عهده، فهو مجانبٌ للصواب.

رئيس حكومة بهيج الخطيب مع المفوض السامي الفرنسي هنري دانتز

حـــوار الأرامـــل

■ جمال منصور

ولك آآآآخ...
اتركها لربك، يا شيخ -
ولك،
ما فيه أي شعور بالحياة، بالمطلق
أخرى،
من إنك تحس بما لا يقبل للشك إنك
بعالم تاني
بكوكب تاني
الحياة فيه ماشية بإيقاع منتظم وطبيعي،
ومختلف تماماً عن إيقاعك!!

يعني بتكون عم تمشي هون،
بهالشوارع النضيفة
يللي ما فيها مخابرات جوية / ما فيها رصاص / ما فيها دوشكا / ما فيها رعب / ما فيها جثث بنايات / أو شوارع / أو أولاد
وبدون ما تكون منوب محتاج تدحش بجيبتك
هويتك،
وشهادة سواقتك،
ودفتر عسكريتك
ودفتر التموين والبونات، ع شوي تانية - أحسن ما يفلجوا ربك، ع الحاجز العشرين!!
وبتكون عم تتطلع بوجوه هالعالم،
بتلاقيهون
شي يللي عم يسفق صاحبتو بوسة داحش لسانو بنص حلقها، ومو فارق مع ربو حدا
شي عالم كامشة الجرايد ومطووشة بالضرايب يللي بدها تفرضها حكومة كيبك الجديدة
شي عم يشوف بودكاست ع الآيباد عن الإعصار ساندي
شي عم يسمع ع الأيفون آخر ألبوم لسيلين ديون
شي عم يتناقشوا ع فنجان قهوة عن مين لح يربح - أوباما أو رومني؟!

يعني،
بتحس حالك
كأنك حدا من سكان المريخ، ونزل ع كوكب الأرض!!
الناس حواليك ماشية، بحياتها الطبيعية
- يللي لازم تكون حياة أي حدا الطبيعية -
وإنت براسك
إحساسك بالذنب إنك لساك عايش / إنو ولادك فوق راسهون سقف / عم تجتر آخر خبر عن موت حدا بتعرفو / أو عن طلعة جاركون يللي انخطف، ورجعتو «العصابات المسلحة» لأهلو من فرع الأمن السياسي، بالصدفة البحتة / أو عم تشوف براسك منظر الجثث والوجوه المجعلكة من الوجع، بانفجار الـ 86..

* * *

وبيقوم بيخطرلك تسألهون لهالـ «طبيعيين، « وع ملاة صوتك:
«إنو أنا
شلون بدي فهم ربكون، شو عم يصير ببلدي؟؟
شلون بدي فهمكون شو شعوري وأنا هون، بعيد آلاف الأميال، وإيدي مو واصلة لطيزي؟؟
شلون بدي ورجيكون الشفرات يللي عم تشطب جوات روحي تشطيب، هلق؟؟
شلون بدي فهمكون قديش
ما فيه شي
ما فيه شي
بيعادل هالعجز، والمهانة، والضعف، والخرا ع قامتو للواحد
لإني متأكد إنو شو ما عملت
فيبقى كل شي بعملو
بلا طعمة
ورخيص
وتافه
قدام موت -
ولو موت واحد، قد ما كان صغير،
ببلدي؟؟»

* * *

وبقوم بسكوت
وبمشي شوي أسرع لإرجع ع البيت،
قبل ما إتجمد
وإنا متل الأهبل، واقف،
ع سوكة الشارع، بهالبرد السليماني
يللي بيقص البسمار.

* * *

[حوار الأرامل - بين هنا، وهناك]

د باقر سلمان النجار؛ الديمقراطية العصية في الخليج العربي

■ ياسر مرزوق

كتابنا اليوم "الديمقراطية العصية في الخليج العربي" للباحث البحريني باقر سلمان النجار الصادر عن دار الساقي ببيروت في عشرة فصول تناولت مفهوم المجتمع المدني، والمجتمع والدولة، وبدايات العمل الأهلي، والتجار في الخليج، والمنظمات والقوى الثقافية، وإشكالية العلاقة مع الدولة.

يقول الدكتور النجار كما نقلت عنه صحيفة "النهار" الكويتية: إن المجتمع العربي بشكل عام يحتاج إلى تغيرات جوهرية وأساسية في نظامه السياسي من حيث خطابه وآلياته ورموزه ومسلماته السياسية. ولما كان نظامنا السياسي هو النسق القائد والحاكم فإن تغيره قد يقود إلى تغيرات نوعية في الأنساق المجتمعية الأخرى. وبمعنى آخر فإن التحولات والتغيرات العالمية التي طرأت على المنطقة خلال مدة العقد ونيف الماضية تتطلب منا إحداث تغيرات أساسية في المناخ السياسي والتعليمي والديني والثقافي الذي شكل الحالة العربية في العقود الماضية والانعتاق منها لبناء حالة مجتمعية جديدة.

يقوم الكاتب بتحليل دقيق لدول مجلس التعاون ويتناول في طياته طبيعة العلاقات ما بين الدولة وأنظمتها من جهة ومنظمات المجتمع المدني من جهة أخرى. كما يتناول أثر التغيرات السياسية على الحالة المجتمعية والأوضاع الداخلية للدول. وقد استند كاتبنا في بحثه وتحليلاته الدقيقة على عدد من الدراسات الميدانية والبيانات لمجموعة من الجمعيات والمؤسسات والأحزاب وطبيعة أنشطتها وأعمالها راصدا التغييرات الواقعة عليها بعد أحداث الحادي عشر من أيلول وتداعيات العولمة.

كما يسعى لتقديم عرض مسهب وتحليل دقيق للمجتمع الخليجي وطبيعة مؤسسة الدولة وعلاقتها بمنظمات المجتمع المدني الفاعلة في كل من الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وعمان وقطر. ويستند إلى دراسة ميدانية شاملة تتضمن عشرات البيانات والجداول التي تتناول الهيئات والمؤسسات والجمعيات والأحزاب، السياسية والدينية، وميادين نشاطها ووسائل تمويلها وأساليب عملها.

ويجهد المؤلف في الرد على المقولات التي تظهر في الكثير من الكتابات الغربية وبعض الكتابات العربية، وتفيد بأن هناك عداءً متأصلاً في المجتمعات العربية نحو الحداثة والديمقراطية والمجتمع المدني، وأن الشعوب العربية تطرب لقمع الأنظمة أكثر مما تنزع إلى الخلاص منها. ويعتقد أصحاب تلك المقولات أن الدين الإسلامي يتميز عن الأديان الأخرى في مقاومته لمسألة الديمقراطية والمجتمع المدني، وبالتالي فإن المجتمعات العربية ترفض أي شكل من أشكال الحياة العالمية أو العصرية غير المرتبطة بالخطاب الديني.

ووفقاً للمؤلف تبقى عملية التغيير والإصلاح السياسي في المنطقة، وتحديدا في الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية، مرهونة بقدر الانفراج أو التأثير الذي قد يأتي به أحد المتغيرات الفاعلة. فالانفراج السياسي ما هو في واقع أمره إلا نتاج لذلك المخاض أو بالأحرى الصراع الدائر داخل مؤسسة الحكم وبين أطرافها، من حيث رغبتها أو عدمها على الإتيان بالإصلاح والولوج في طريقه من ناحية، والخوف من أن يقود ذلك إلى تقلص في السلطات والثروات والنفوذ والقوة من ناحية أخرى، بالإضافة إلى قدرة المجتمع المدني على التأثير في فرض ذلك أو على الأقل جعل النظام يقدم على تحقيق ذلك ولو بعد حين.

يقول النجار إن سرعة تغير هذه المجتمعات الخليجية هائلة، حيث إنها في بؤرة عملية العولمة المعاصرة، وأصبحت هذه المجتمعات بفعل الموقع الذي تحتله تتأثر بكثير من التحولات الحاصلة في العالم. قبل الاحتلال العراقي في المنطقة كانت الديمقراطية في حد ذاتها تخيف البعض من أن يأتي على ذكرها، وكذلك المسائل المتعلقة بحقوق الإنسان التي كانت الناس تهاب الحديث فيها. لكن الحرب التي قادتها دول التحالف لتحرير الكويت كانت حرباً مفصلية في حياة هذه المجتمعات، ومع مرور الوقت أصبحت هذه الأمور جزءاً من خطاب المجتمع، وفي أحايين كثيرة تصبح جزءاً من خطاب الدولة.

كما يتبنى النجار تعريفاً إجرائياً مبسطاً يعرف المجتمع المدني على أنه «مجموعة من التنظيمات التطوعية الحرة أو المستقلة نسبياً، والتي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، لتحقيق مصالح أفرادها، أو تحقيق منفعة جماعية للمجتمع ككل، وهي في ذلك ملتزمة بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والإدارة السلمية للتنوع والخلاف».

من خلال كتاب النجار، ندرك أن إشكالية الديمقراطية في الخليج العربي خاصة هي إشكالية اجتماعية، قبل أن تكون إشكالية سياسية. بمعنى أن تحقيق الديمقراطية في الخليج، أو في أي بلد على سطح هذه الكرة، لن يتم إلا إذا شعر كافة المواطنين دون استثناء، أن هذا الوطن هو وطن الجميع، وهو مُلك الجميع، وأن دولة الوطن، هي دولة الجميع، وهذا هو الأساس الذي يقوم عليه المجتمع المدني الحديث. ويقضي هذا الأساس، إقامة نوع من الاتفاق أو "العقد الاجتماعي"، الذي يساعد الشعب على الانتظام في دولة واحدة.

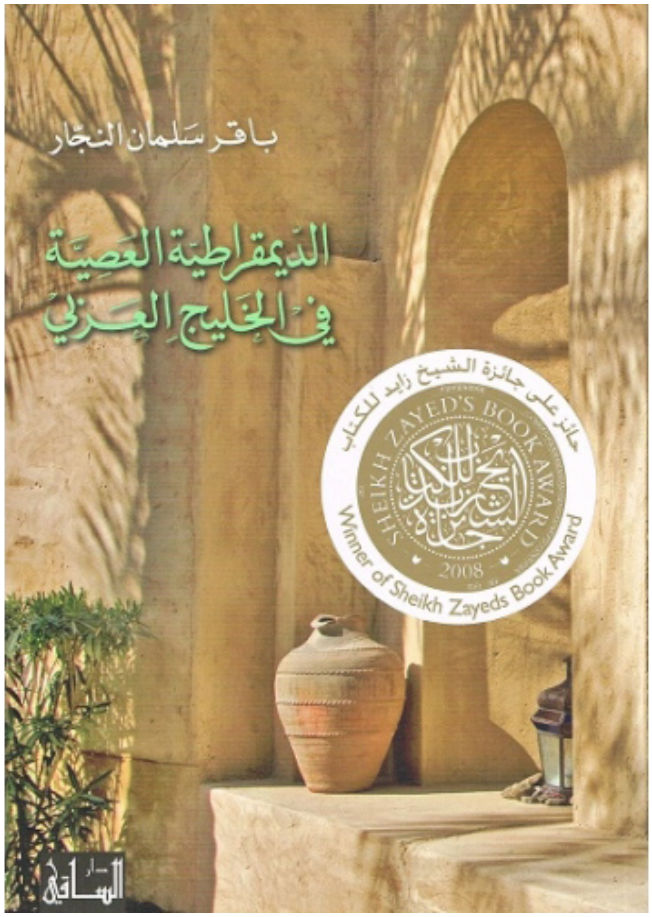

يوصينا باقر النجار بأن نفتح نفوسنا قبل أبوابنا للديمقراطية. فلا مجال، ولا فائدة من فتح الأبواب للديمقراطية، والنفوس صادة عنها، رافضة لها، ضيقة بها. وفتح النفوس للديمقراطية يكون بإتباع التالي:

1 - دعم المجتمع المدني لكي يصبح قوة مؤثرة ودافعة بالدولة والمجتمع نحو الدمقرطة، ليس كخطوة تكتيكية لتجاوز ضغوط الداخل والخارج، وإنما كعمل مرحلي من أجل إقامة مجتمع ديمقراطي حقيقي، يتجاوز كل كبوات الماضي، وخروقه.

2 - إيجاد مجتمع مدني حر في فعله الاجتماعي والسياسي والثقافي. وبهذا تكتمل الممارسة الديمقراطية.

3 - لا شرط لوجود المجتمع المدني بوجود مجتمع حداثي. فكل مجتمع مدني يُعبِّر في أطره وخطابه عن البيئة التي ينشأ فيها.

4 - التغيير الحقيقي لا يأتي إلا عندما يتحول الوطن والوعي به، على أنه وطن لكل المواطنين، وأن الدولة شأن عام يخص كل المواطنين. فلكل المواطنين الحق في الوطن، وللوطن واجب على الجميع.

5 - إن الداخلين إلى العصر الحديث، لا الخارجين منه، هم فقط من يعون التاريخ، ويعملون بأسبابه.

وهذه المفاتيح الرئيسية الخمسة، وباقي المفاتيح الأخرى التي ذكرها باقر النجار في كتابه، هي الكفيلة بفتح النفوس للديمقراطية قبل الأبواب، لكي لا تصبح الديمقراطية عصيّة، لا في الخليج العربي فقط، ولكن في العالم العربي أيضا.

الدكتور باقر النجار أستاذ علم الاجتماع في (جامعة البحرين) منذ 1984 حتى الآن، كان عميداً لـ (كلية الآداب - بجامعة البحرين) للفترة 1995 – 1999، وهو عضو في (مجلس الشورى البحريني) 2000 – 2002.

ومن أبرز مؤلّفاته خمسة كتب في مجال علم الاجتماع، وهي: "العمل الاجتماعي التطوعي في الخليج العربي"، 1988، و"إنتاجية العمل في القطاع الصناعي في البحرين"، 1993، وسيسيولوجيا المجتمع في الخليج العربي"، و"المرأة وتحوّلات الحداثة العسيرة"، 2000، و"الحركات الدينية في الخليج العربي"، 2007.

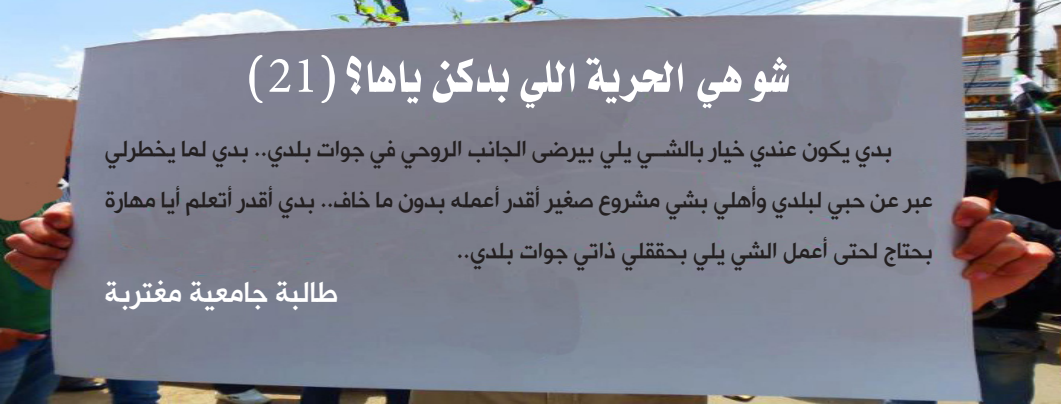

هديل محمود

نحن في معركةٍ لا أهليّة فيها إلا لمن أتقن سنّ السكاكين، وصقل السيوف، وأجاد تقطيع أوصال الروح، ووضع الحواجز من الوريد إلى الوريد..

علي الأتاسي

السيارات المفخخة وبغض النظر عن هوية سائقيها هي عدة شغل المخابرات السورية في مواجهة الشارع السوري المنتفض.. القاعدة وفتح الإسلام وجبهة النصرة وبمعزل عن نوايا منتسبيها، هي أيضا وأيضا عدة شغل المخابرات السورية في مواجهة الثورة السورية بما تجسده من ثورة شعب ضد سلطة استبداديه قاتلة..

مصطفى علوش

كمية الحقد التي يحاولون زرعها في قلوب السوريين كل يوم.. عن طريق المشاهد والأفلام التي يسربونها بشكل مقصود وممنهج.. تكفي لإشعال ألف حرب طائفية في وطن آخر.. وبصراحة.. الذي يطالب شعبا بلغ هذه الدرجة من الصبر والتحمل بضمانات.. حاله كحال الكفار الذين رأوا معجزات الأنبياء بأم أعينهم ثم استمروا على كفرهم وعنادهم..

راشد عيسى

لم يكن ينقص ضاهر عيطة، الصديق وزميل الدراسة، إلا أن يعتقل كي تكتمل رحلة عذاب وكفاح مضن، فكفاحه ليس كفاح إنسان في مواجهة الإعاقة فحسب، فهناك حكاية التعليم التي استأنفها ضاهر متأخراً، فراح يفك الحروف حتى كتب شعراً ورواية ومسرحا وحظي بجوائز.. ضاهر عيطة حكاية رائعة، لن يكون الاعتقال ختامها.

علي حسن سلامة

الأخطاء التي يرتكبوها الثوار أحياناً والتي لا استطع إلا أن انتقدها بسبب حرصي على الثورة ومبادئها، فما هي إلا هفوات بسيطة جداً إذا ما قورنت مع فظاعات الشبيحة.. لا شيء يرقى إلى جرائمهم المهولة.. لا شيء

حبيب عيسى

لقد أعجبت بجرأة ليفني أنها مارست الجنس مع البعض من أجل "إسرائيل" لكن ازداد احتقاري للذكور الذين مارسوا الجنس معها لا من اجل أوطانهم، وانما من أجل "إسرائيل" أيضا..

عصام العطار

لماذا تبحث يا أخي عن منقذ أو قائد مقتدر خارج نفسك على الدوام، ولا تبحث عنه في أعماق نفسك، فلعلك أنت هو إذا أخلصت لربك ودينك، وعرفت استعداداتك ومواهبك، ورفعت نفسك من خلال العلم والثقافة والفكر، والحماسة والإرادة والجهد، إلى مستوى إسلامك ومهمتك وعصرك، وحاجات الإسلام والمسلمين والإنسانية والإنسان في هذا العالم والعصر

أنوار العمر

أي نظام يعتقل معاق جسدياً.. هو معاق في تركيبته الذهنية وإسقاطه واجب فرض عين..

جلال عمران

لبنى مرعي، إنّها فاتورة «الشعب السوري واحد»..

مصطفى أبازيد

كان جدي يغني لنا أغان بالكردية ونحن لا نفهم الكردية.. كانت تخترق روحي.. ولسبب ما أجهله، كنت أحزن كلما سمعتها.. مع أنني لا أفهم ما تقول..

جبر الهندي

لو كان تقسيم البلد يشكل حلاً مقبولاً لأي من مكونات الشعب السوري، كانت سوريا انقسمت من أول مجزرة..
ربما يكمن أحد أسباب استمرار هذا الصراع الدامي المرير كل هذه المدة، في إصرار السوريين على العيش سوية..

ليلى العودات

إذا كانت سوريا لا تحتوي على أنثى واحدة كفؤ لتمثلها في مجلس وطني يدعي انه الممثل الشرعي للشعب السوري فهذا لأن مجالس وهيئات من الذكور والنساء الدمى نسيت أن تحارب من أجل تعليم المرأة وتحريرها من العنف والإقصاء.. هذا المجلس خطوة جديدة على نفس الطريق إلى الهاوية.. وحجة تأجيل الحديث عن النساء حتى قيام المعارضة "الثورية" بإسقاط النظام لا تقل غباء عن حجة تأجيل الحديث عن تحرير الشعب السوري من الطاغية حتى قيام النظام "الممانع" بتحرير فلسطين..

لبنى مرعي

لم ولن أدافع يوماً عن الأقليات ولا عن طائفتي، من الحماقة ربط مستقبل الأقليات بوجود النظام "الكول" والعلماني، ما حدا مجبر يدافع.. ولا يبرر.. ولا يعطي تطمينات.. المتعصبين للطائفة الكريمة!! برأيك إذا حاولت تفتح تمك بالكلام عن أي غلط، ما رح ينقص لسانك قبل ما يطلعو على هويتك وخانتك؟.. أنا حاقدة عليكون.. وبنفس الوقت مقهورة.. مستقبلا رح شوفكون عم تدفعو تمن جرائم.. أغلبكون ما كان دخلو فيها.. وما رح أقدر أعمل شي..

حسين الشيخ

المدونون في سوريا، ليسوا كلهم بالطبع، ذراع هائلة الجمال والقوة والحنية. أنا أتعلم منهم وأحبهم، أقرأ لهم بشغف وأربت على كتفي كي أستمر بالإصغاء إليهم وإليهن. لذلك يخاف منهم النظام، يعتقلهم، يحاصرهم بأعوانه، ينتهك مدوناتهم. المدونون دواوين شعر بالغة الشعر أقراها يوميا دون ملل.. كل يوم يتناقص عددهم / ن للأسف. كل يوم ينقص عنوان من مفضلتي، ينقص الشعر. لعل انتصار الثورة يعيد لي متعة قراءتهم.

آية الأتاسي

لا نريد نساء فقط للديكور ولا كمالة عدد.. نريد نساء بل ورجال، يشبهون الثورة.. وبألوان قوس قزح.. لم يثر الشعب على الفكر الواحد ليأتي بمجلس بلون واحد.. ولم ينادي باسقاط الإستبداد لإستبداله باستبداد جديد.. الثورة ما تزال مستمرة وإسقاط الإستبداد بكل أشكاله، سلطة ومعارضة

إياد عماشة

لدي القدرة على سماع ترهات وأكاذيب إذاعة دمشق وزجليات بعض مذيعيها والضحك على غباء هؤلاء لساعات طويلة. وحده شادي حلوة، مراسل الإذاعة من حلب يجعلني أشعر بحاجة ماسة لدخول الدبلوبسي.. هذا الفتى يملك من الحقد على هذا الشعب ما يفوق قدرتي على الفهم.

خالد خليفة

العمى نومنا شو صاير خفيف شقفة مدفع بيفيقنا..

راشد عيسى

لا بد من مراجعة نظرية أن السوريين قد تحرروا من الخوف، فالذين تحرروا من الخوف قتلوا، أو اعتقلوا. من بقي في دمشق اليوم لا يخرج من بيته إلا ليعود بأسرع ما يمكن، تجد المرء يتلفت حوله ترقبا لعبوة أو مصيبة. شخصيا ولدت مذعورا، وعلى ما يبدو، سأظل، مثل الماغوط، مذعورا إلى أمد طويل.

رانيا منصور

على الأرض البيضاء تُحصد الأرواح.. وفي الأرض الزرقاء تُحصد اللايكات... ما بين الصباح والصباح.. قاب مئتي شهيد أو أو كثر..

مصطفى أبازيد

عبد الوكيل بيرقدار
ستبقى كفرنبل بوصلة الثورة.. لن تحرقوا أرواحنا التي تحفظ وتحمي ما كتبته لافتاتها.. كفرنبل.. يا وجعنا مرة أخرى.. عليك السلام

نورا مراد

"اللّه يستر" الجملة التي وحدت بين جميع السوريين!

ندى صبح

دمائكم صافية غير مزوجة بالنفط.. لذلك لا تنتظروا أحدا أيها السوريون انه عالم منحط لا يكترث إلا بما في جوف الأرض..!

لكَفْرنبل

لكَفْرنْبلْ..
صلاةُ الأنبياءِ لها
وقدّيسٌ وراءَ جمالِها يُقْبلْ
ولافتَةٌ لها جُدرانُ أبراجٍ
وسقفٌ لا حدودَ لهُ
لها منزلْ
لكَفْرنْبلْ..
لأرضٍ أثبتتْ أنّ المُعادلةَ
لها أشكالُها الأخرى
لخارطةٍ غفتْ عنها
سهتْ عن لونِ كَفْرنْبلْ..
لصوتٍ لاذعٍ ناقدْ
يُحجّمُنا، ويَرفعُنا، يقوّمنا
يصيدُ لنا خطايانا
بسنّارةْ
بذاتِ الوقتِ خيطاناً من الصوفِ
بنا يغزلْ
لمَن يَنوي الوضوءَ ومَن يُصلّونَ
هيَ المنهلْ
وشطرَ ترابها الجنّةْ
وديْكٌ يَطوفونَ
لكَفْرنْبلْ..
هيَ القُدسُ، هيَ الكرملْ
ومكّةُ ثورةِ الحقِ وكعبتها
وعاصمةُ النضالِ المُرِّ تُربتها
هيَ الأسطورةُ الأولى التي بالحقِّ
لا تُهْمَلْ..
ولا تُهْمِلْ..
لكَفْرنْبلْ..

رامي العاشق

الشباب والثورة..

نشكل نحن الشباب جسد الثورة الأساسي، وسنعمل على متابعة طريقنا إلى إسقاط النظام، وسنرفض كل تقييد أو تجهيل وتجاهل لقوانا، ولن نقبل بأي أطر سياسية أو ثقافية غير قادرة على فهم روح الشعب وروح العصر ومشكلات سوريا.

بلادنا دمرت، ونريد إعمارها، وهذا لن يكون دون موقف حاسم، وبعد إسقاط النظام، ومنذ الآن نطالب كل القوى السياسية بعرض برامجها عن تطوير سورية اقتصادياً وسياسيا وثقافيا وتعليما وفي كل مناحي الدولة المستقبلية.

إننا كجزء من قوى الثورة، لن نصمت على التشوهات التي تلحق بها، ونحن نريدها ثورة للعيش الكريم، ثورة للحرية، ثورة لإلغاء كل أشكال الشمولية، ثورة لكل السوريين، ومن كل الطوائف والقوميات، كونهم جميعا أفرادا سوريين، وسيكون لهم حقوق المواطنة كاملة.

ثورتنا هذه، والذي نحن جسدها الأساسي، نقول: إن ولائنا فقط لتحقيق مطالب الشعب، وليس لقوى سياسية، لم تنظر للثورة سوى كوسيلة للوصول إلى السلطة.

لا نريد استبدال سلطة بسلطة، وما تفعله المعارضة لا يشي بغير ذلك، نريد إسقاط السلطة وبناء دولة السوريين كافة.

الشباب السوري الثائر

حريق السنجقدار 1928م

■ بلال سلامة

يقع زقاق السنجقدار في منطقة تتوسط العاصمة دمشق ضمن المنطقة المسماة (تحت القلعة) على تخوم أسوار قلعة دمشق القديمة من الناحية الغربية الشمالية، ويضم عدداً من أسواق دمشق العريقة التي تصل أعمار بعضها إلى مئات السنين، وفيه تجمعت صالات العرض السينمائي في السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي لدمشق، ولا بد لكل من يريد الذهاب من ساحة المرجة إلى سوق الحميدية أن يعبر هذا الزقاق ويستمتع بأبنيته التراثية وشرفاته المتقابلة والمتجاورة التي تظلل الشارع وتحمي العابر من أمطار الشتاء وحرارة شمس الصيف. وتنتشر في الزقاق عشرات الفنادق والمطاعم التي شهدت على انتقال دمشق من عصر استقبال زوّارها في الخانات في القرون الماضية إلى عصر الفنادق العصرية في النصف الثاني من القرن العشرين. كما تنتشر في السنجقدار كحال معظم أسواق دمشق القديمة والحديثة، محلات تبيع الشرقيات والتراثيات كالنحاسيات والزجاجيات والفخاريات، وقد كان الزقاق في الماضي مكان انطلاق "محمل الحج" وكان مملوءاً بالمقاهي والمطاعم والفنادق وصالات العرض السينمائي.

أما عن تسمية المنطقة بهذا الاسم فيقول المؤرخ "محمد عيد الخربوطلي" في مقال له في مجلة "الشرفات" أن تسمية الحي تعود إلى جامع "السنجقدار" الموجود مقابل الباب الغربي لقلعة دمشق، والذي بناه نائب دمشق الأمير المملوكي أرغون شاه الناصري عام 749 للهجرة الموافق 1348 للميلاد)، وأضاف: "منذ عام 1008هـ وحتى هذا اليوم تعرف المحلة والجامع باسم السنجقدار، والسنجقدار كلمة تركية مؤلفة من (سنجق - دار) وتعني حامل الراية، وذلك لأن السنجق- العلم- الذي كان يُحمل آنذاك في احتفال محمل الحج، كان يودع في هذا المسجد يوماً وليلة، فعرف الجامع والمحلة باسم السنجقدار".

ويقول السيد ابراهيم النحلاوي ابن المنطقة وصاحب أحد المحال في حي السنجقدار "كثيرون من شباب اليوم لا يعرفون حدود جادة السنجقدار رغم أنها كانت وما تزال تُعدّ من أهم أحياء دمشق، فحدود هذه الجادة تبدأ جنوباً من جامع السنجقدار نزولاً مع الطريق الرئيسي الواصل إلى جسر الثورة وحتى جامع الشامية شمالاً، وتضم أيضاً ساحة المرجة في الغرب وسوق القرماني وسوق العتيق وسوق الهال القديم ووصولاً إلى بداية سوق السروجية شرقاً".

في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الأربعاء 20 حزيران 1928 اندلع حريق هائل في شارع الناصري الموازي لجادة السنجقدار التهم القسم الجنوبي من الجادة والمتاخم لسوق التبن واستمر لأيام مما أدى إلى امتداد اللهب إلى المحال التجارية والبيوت الخشبية المجاورة فاحترقت جميع الأبنية والبيوت والمحال بما في ذلك جادة الناصري والفنادق المجاورة وجزء من "سينما زهرة دمشق" عند ساحة المرجة.

أما عن سبب الحريق فكان كما ورد عن الشيخ علي الطنطاوي شرارة اندلعت من إحدى دور السينما في محلة السنجقدار والمعروفة باسم (سينما النصر)، والتي يقول عنها السيد بشار منافيخي "كانت في سوق التبن القريب من ساحة المرجة في زاوية سوق الناصري، وتأسست عام 1923 وكان بناؤها مؤلفاً من طابقين، شُغل الطابق الأول منها دائرة الأوقاف بدمشق، أما الطابق الأرضي فشغلته صالة السينما التي أسسها كل من محمد الأغواني صاحب مسرح القوتلي، وأرمينياك تاجر السلاح في سوق الخجا، وأبو نعيم صاحب سينما الإصلاح خانة". توقفت السينما فترة طويلة عن العمل بسبب منافسة الصالات الأخرى القريبة وبسبب قدم آلات العرض فيها. إلى أن قام السيد أديب الشربجي بشرائها وتجديدها، وأشرف الكهربائي بهجت المصري على إدارة آلاتها، حتى اليوم الذي اشتعل فيه هذا الحريق الضخم الذي كان سببه شرارة تولدت إثر إفلات بكرة الفيلم واصطدامها بمصباح كهربائي، فنجم عن ذلك حريق كبير في مكان آلات العرض، وامتدت النيران بسرعة البرق إلى باقي السينما، وانتشر إلى الأبنية المجاورة بسرعة هائلة فكانت النار تنتقل من دار إلى دار بسرعة، مما أعجز الرجال عن إخمادها وحصر ألسنتها وإن دل هذا على شيء فهو يدل على افتقار البلاد حينئذ لمعدات مكافحة الحرائق.

يقول الدكتور قتيبة الشهابي في كتابه (دمشق صور و تاريخ) أن المهندس خليل الفرا رئيس جمعية أصدقاء دمشق ذكر في مفكرته عند الحريق: "يوم 20 حزيران 1928 الساعة الثانية بعد الظهر بدأ حريق عظيم في شارع الناصري واستمر إلى يوم الخميس 21 منه وقد حضرت إطفائية بيروت لمساعدة إطفائية دمشق على إخماد النار".

كما ورد عن الأستاذ محمد شحادة الأرمشي أنه كان شاهد عيان على حريق محلة السنجقدار، وقال "إن حريقاً مهولاً استمر لمدة ثلاثة أيام أي حتى ما بعد صلاة يوم الجمعة 22 حزيران 1928. التهم الحريق الأخضر واليابس ولم يترك شيئاً، بتأثير نار خرجت من دار سينما النصر في عمارة القباني تحت دائرة الأوقاف (وليس فوقها) عند زاوية جادة الناصري. أدى امتداد اللهب الى المحال والبيوت العربية القديمة ومعظمها مبني من الخشب (أسقف و جدران داخلية وطبعاً من اللبن)، فأحرقها كلها لأن الخشب ناشف وبمجرد أن يشم اللهب يحترق فوراً. كذلك طال الحريق جزءاً من سينما زهرة دمشق التي كانت سينما فخمة في مدخل السنجقدار عند ساحة المرجة فاحترقت جميع الجهة الواقعة قبلي جامع يلبغا بعد النهر". وأضاف أن "جامع السنجقدار والحمد لله قد (نفذ) من الحريق". ويعود سبب نجاة جدار جامع السنجقدار وقبة الجامع من الحريق إلى بعده عن خطوط التماس مع نيران الحريق حيث كان يفصل بينهما الطريق.

قدّر بعضهم الخسارة التي مُنيت بها دمشق في ذلك اليوم بنصف مليون جنيه، وقدرها آخرون بما لا يقل عن ثلاثة أرباع مليون جنيه.

وذكرت صحيفة (المصور) في عددها رقم 194 والصادرة يوم الجمعة 29 حزيران من عام 1928 ما نصه: "الجمعة 29 حزيران سنة 1928، نكبة عاصمة الأمويين العظيمة: لم تكن دمشق التي قال عنها غليوم الثاني أنها درة في تاج آل عثمان تفرغ من الاحتفال بافتتاح المجلس التأسيسي السوري ناظرة إلى المستقبل بعين الرجاء والأمل، حتى مُنيت بذلك الحريق الهائل الذي أفاضت الصحف اليومية في وصف هوله وبسط الخسارة التي نكب بها الأهلون بسببه".

وعن سوق السنجقدار يقول المؤرخ عماد الأرمشي "كانت جادة السنجقدار سوقاً تجارية ولا تزال، وقد حوت العديد من المحال التخصصية لبيع الحلويات الشامية اللذيذة والفواكه المجففة كالمربيات إلى جانب الفنادق التي كانت تسمى في تلك الفترة بال (لوكندة) كفندق لوكندة ستنرال فوق سوق الخجا من الجهة الشمالية إلى جانب مدخل سوق السروجية، ولوكندة فيصل الأول كما تواجد العديد من الفنادق الجديدة والمطاعم ومكاتب الصحف ومكاتب المحاماة والعديد من المهن الأخرى. تواجد أيضاً عدة فنادق جديدة من أشهرها فندق الفيحاء وفندق الجامعة العربية وفندق الاتحاد العربي والفندق الأموي وقصر رغدان وفندق قصر عابدين الكبير وقصر الزعفران".

كذلك ذكر الدكتور المرحوم قتيبة الشهابي أن "من أشهر المطاعم في هذا الزقاق: مطعم الأدلبي ومطعم علوان، ومن دور الصحف صحيفة النضال للدكتور سامي كبارة، وصحيفة العالم للمهندس موفق الميداني. أما المجلات التي تواجدت مكاتبها في هذه الجادة فكانت مجلة الدنيا لعبد الغني العطري، ومجلة الفن والراديو لعثمان شحرور، إلى جانب عيادات وصيدليات ومكاتب محاماة وعديد من المهن الأخرى كمحل نور الدين رمضان الذي كان سينمائياً رائداً وميكانيكياً ماهراً في تصليح آلات التصوير".

أعيد تنظيم منطقة السنجقدار برمتها بعد الحريق، فتغيرت معاملها وشوارعها وفتحت فيها جادات جديدة واسعة بدل جاداتها الضيقة القديمة وذلك لضمان سهولة وصول رجال الإطفاء إليها عند الحاجة، وأطلقت عليها تسميات اختلفت عن سابقتها، أما التسمية البديلة اليوم لهذا الحي فهي شارع الفرات، ولكنها في الواقع تسمية غير مستعملة شعبياً بين أهل الشام ومازال الجميع يعرف الحي باسم حي السنجقدار.

كان لحريق السنجقدار أثر سلبي كبير جداً على الحياة الاجتماعية لمدينة دمشق وهذا التأثير لم يكن لمدة قصيرة بل استمر لمدة ثلاث سنوات متلاحقة، فقد تأثرت المدينة من النواحي الاقتصادية والتجارية والاجتماعية وكذلك السياحية أيضاً. ومن هذه التأثيرات تعطل حركة المرور بتلك المنطقة الرابطة بين ساحة المرجة وسوق الحميدية، كما أنه أفقد التجار محالهم التجارية، وخسر أهالي الحي بيوتهم ومساكنهم، كما احترقت معظم فنادق المدينة حيث أنها تتجمع في هذه المنطقة، وأدى هذا إلى رفع سعر الغرفة الواحدة إلى مبلغ 14 ليرة بتلك الأيام وهذا يعتبر مبلغاً عالياً جداً بالنسبة إلى الأسعار المتداولة والتي كانت بحدود ليرة ونصف أو ليرتين. مما دفع بحكومة الانتداب الفرنسي إلى الإسراع بإعادة بناء تلك المحلة لتفادي الوقوع في ضائقة اقتصادية تؤثر سلباً على الحكومة الفرنسية في باريس.

* حريق دمشق الهائل *

آثار الحريق الذي طال المنطقة و الدمار الذي أصابها من طرفي شارع السنجقدار ، وقد تعطلت حركة المرور و حركة الترام

بين مبادرات التوحيد وواقع التفرّق

■ إبراهيم الأصيل

شهدت السّاحة السّوريّة في الأسبوع الماضي إطلاق مبادرتين لتوحيد صفوف المعارضة، الأولى أطلقها المعارض السوري البارز رياض سيف، والثانية أطلقها المجلس الوطني بعد عملية إعادة الهيكلة وضمّ قوى جديدة لصفوفه، ولكن هل تتّجه المعارضة حقّاً نحو التوحّد أم التشرذم؟

برصد سريع لآخر التحرّكات على رقعة المعارضة، نجد انسحابات لأعضاء بارزين من صفوف المجلس الوطني السوري، حيث أعلن كلٌ من أسعد العشي، أديب الشيشكلي، ناجي طيارة، عماد الحصري، يارا نصير، فراس قصاص وخلدون النبواني انسحابهم من المجلس بعد خيبة أملهم فيه لفشل إعادة الهيكلة في تمثيل المعارضة السورية. ولم تكن لجان التنسيق المحلية بعيدة عن هذه التقلّبات، فأعلنت انسحابها من المجلس الوطني وعلّلت ذلك بأنّها تأكّدت من عدم قدرته على تبنّي خطة إصلاح شاملة. وخلال ساعات من هذا الانسحاب أصدر الأعضاء الممثّلين للجان التنسيق في المجلس بياناً معاكساً واصفين فيه هذه القرار بأنّه "أرعن" ومؤكّدين تمسّكهم بعضويتهم في المجلس.

وعلى صعيد الانقسامات الداخلية التي طالت التشكيلات والهيئات الثورية، أعلنت المعارضة والناشطة سهير الأتاسي انسحابها من الهيئة العامّة للثورة السورية، وهي من مؤسسي الهيئة وممثّلتها في الشؤون السياسية والإغاثية في الخارج. كما حصل انقسام في اتحاد تنسيقيات الثورة السورية، حيث انفصلت بعض التنسيقيات عن الكيان الأم معلنةً هيئة تحمل نفس الاسم وتصرّح بأنّها الممثّل الإعلامي الوحيد لاتحاد تنسيقيات الثورة السورية ومتبرّأة من الكثير من الأعضاء المؤسسين للاتحاد.

تشكيلة المجلس الوطني الجديدة المفتقرة لتمثيل حقيقي للنساء ولقوى علمانية وليبرالية قد تدفع لفرز أوضح بين هذه القوى، فتتكتّل في جبهتين، كما أنّه من المحتمل أن تؤدّي مبادرة رياض سيف لانشقاق واضح في المجلس الوطني بين مؤيّد ورافض، خصوصاً مع اقتراب المفاوضات من نهايتها ومحاولة رياض سيف تقديم المزيد من الاغراءات للمجلس، بالاضافة لضغوطات اقليمية ودولية.

واقع التفرّق هذا لا يبشّر بخير أبداً، فتفرّق المعارضة السياسية لا يخسرها ثقة الخارج بها فيتأخر الدعم لاسقاط النظام فحسب، وإنّما تفقد رابطها مع الداخل أيضا، وهذا ربّما يكون أخطر من الأوّل، فالثوّار في الداخل بدؤوا يرفضوا أي مبادرة بشكل تلقائي بعد أن فقدوا الأمل بأي عمل جدّي. أمّا فيما يتعلّق بالجانب المسلّح، فالواقع لا يختلف من حيث الفرقة والتنازع عن المعارضة السياسية، ونحن أمام المزيد من تشكيلات المجالس العسكرية والقيادات والجبهات المختلفة، حيث يدّعي قسم كبير منها أنّه الممثّل الرئيسي لكتائب منطقة ما، ثمّ لا نلبث أن نقرأ إعلاناً عن تشكيل مجلس آخر أو جبهة أخرى تدّعي الأمر نفسه.

ممّا سبق نستنتج أنّنا جميعاً كسوريّين مشتركين في الانقسام وتشتيت بيتنا الداخلي، سواءً السياسيين في الخارج، الناشطين المدنيين في الداخل، أو كتائب الجيش الحر. هناك فشل كبير بالتنظيم والعمل المؤسساتي، رغم وجود الكثير من الأفراد الوطنيين والمخلصين الذين يقومون بجهد جبّار سواءً كسياسيين أو ناشطين مدنيين أو مسلّحين. التوحّد مسؤوليتنا جميعاً، من فرق العمل الصغيرة والتنسيقيات إلى الهيئات والمجالس مروراً بالكتائب العسكرية. والآن أمام المجلس الوطني وفريق رياض سيف فرصة تكاد تكون الأخيرة لانقاذ الوضع وإعطاء مثال عن امكانية توحيد الجهود، بحيث يبذلوا جهودهم لدمج المبادرتين وتطوير البنود بما يلائم المصلحة الوطنيّة العليا للسوريين، وضمّ كافّة أطياف النسيج السوري، وأن يتخلّى الجميع عن تحزّباتهم ويضعوا الشعب السوري أمام أعينهم، بهذا فقط يستطيع السوريين اثبات قدرتهم على إدارة بلادهم بعد سقوط النظام.. ولنذكر أنّ كل مبادرة تفشل يعني خسارتنا لآلاف الأرواح السّورية في انتظار مبادرة جديدة!

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (33776)

دمشق: 2059
ريف دمشق: 6572
حمص: 6966
درعا: 3127
إدلب: 4762
حلب: 3919
دير الزور: 2516
الرقة: 185
السويداء: 25
حماة: 2726
اللاذقية: 620
طرطوس: 52
الحسكة: 150
القنيطرة: 97

2257 عدد الأطفال الذكور
1002 عدد الأطفال الإناث
2217 عدد الإناث
4823 عدد العسكريين
28953 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 10 / 11 / 2012
http://vdc-sy.org

نصائح في حالات المداهمة

أيام الحرّية

تستلزم الثورة على الطغيان كسر حاجز الخوف وربما التضحية بالغالي من أجل هدف أسمى، وهذا ما جعل الناشطين مصرين على المضي في طريق الحق، و منذ البداية و النظام يعمل على تغييب خيرة الشباب الناشط أملاً أن يخمد شعلة الثورة، و كي يستمر العمل الثوري لا بد لهم من حماية أنفسهم قدر الإمكان، وفي حال الخوف من عواقب حصول مداهمات يمكن أخذ الاحتياطات التالية:

1. انتبه لترتيب القنوات الفضائية فلا تجعل الجزيرة و العربية و أورينت هي الأولى بالترتيب .

2. في وقت المداهمة قم بتغير القناة التي كنت تشاهدها وضع قنوات رياضة أو دراما أو أطفال قبل إطفاء التلفاز لأنهم كثيراً ما يشغّلون التلفاز لرؤية آخر قناة كنت تشاهدها.

3. لا تضع المال و الذهب و كل ما خف حمله و غلى ثمنه في متناول الأيدي وقت التفتيش كأرفف الخزائن و لا حتى في مطربانات المطبخ لأنها قد تُكسر أثناء التفتيش.

4. لو طلب منك الضابط أن تطمئن على الذهب و المال لأن من معه ليسوا بسارقين فلا تفعل، فقد بحثوا ولم يجدوا شيئاً و يريد معرفة أين تخبئ الذهب و المال.

5. لا داعي لإخفاء الحاسب المحمول في مكان مريب (تحت المفارش مثلا) لأن ذلك أدعى للشك، بل الأفضل أن تحفظ كل الأعمال الثورية على فلاشة يسهل التخلص منها.

6. احرص على عدم تمكنهم من الحصول على جوالك ويمكنك الاحتفاظ بجوال احتياطي آمن، أو قم بإزالة الشريحة التي تستخدمها للعمل الثوري كي لا يتم الايقاع بزملائك من خلالك في أسوأ الاحوال

7. لا تبق بمفردك في المنزل أو مع مجموعة من الشباب إنما مع العائلة.

8. انتبه ولا تهرب أو تركض حتى لو كنت مطلوباً لأنهم لا يدققون غالباً في القوائم لضيق الوقت.

الحراك السلمي السوري
Bizava Aştiyane Sûrî
Syrian Nonviolence Movement

إلى كل رب عمل

تاجر، صاحب شركة أو مصنع، صاحب رزق ومسؤول عن عمال ؟؟ لكل منا دوره وواجبه تجاه سوريا كي نعيد بناءها، وافضل ما يمكن أن تقوم به أنت هو تحقيق العدالة والكرامة في مجتمعك الصغير مع من يعمل معك كي تعم هذه القيم مجتمعنا الأكبر

نقطة البدء هي حقوق العمال التي تصان عادة من خلال قوانين خاصة بهم ونقابات ترعاهم وتدافع عن حقوقهم، وبالرغم من تحفظنا على الكثير من مواد **قانون العمل السوري الجديد ٢٠١٠** إلا أنه هو المعتمد حالياً، وبناءً عليه فإن :

للعامل الحق بالمعاملة العادلة

تدعو المادة ٢ إلى المساواة وعدم التمييز بين العمال من حيث العرق، أو الجنس، أو العقيدة، أو الرأي السياسي، أو الأصل الاجتماعي وذلك في كل ما يتعلق بالتأهيل والتدريب المهني، أو بالأجر أو بالترفيع ، أو بالاستفادة من الامتيازات الاجتماعية، أو بالتسريح من العمل.

ليس هناك اليوم من نقابات او محاكم تلاحق أو تسائل و لكن اعلم انه في جميع الشرائع الدنيوية و الأخروية :

*** ليس من العدل أن تعطي شاباً نصف أجر غيره لمجرد أنه محتاج للعمل أكثر أو بسبب صغر سنه .**

***من الظلم انتقاص أجر العمال نتيجة الازمة و الابقاء على أجر المدراء ذوي المناصب الرفيعة .**

*** من حق العامل أن يستمر في العمل ولو نقصت قدرته على الإنتاج لظروف خارجة عن إرادته**

للعامل الحق بالمعاملة بكرامة

فكما أنك مصدر معيشته، فهو أيضاً مصدر إنتاجك لذا فلا أفضلية لك عليه تسمح لك بإهانته جسدياً أو معنوياً.

إن كنت محتاراً تريد أن تقدم شيئاً لبلدك، أو قد تكون ممن يتبرع ويدعم الثورة بأموال طائلة، تذكّر أنه قبل التبرع عليك إعطاء كل ذي حق حقه..... تذكّر أن ضميرك اليوم هو الحكم الوحيد، فلا نقابات و لا قوانين تحمي او تصون حقوق العمال و لكن تذكّر أن الظلم ظلمات ونحن لم نصل إلى ما وصلنا إليه اليوم إلا بسبب الظلم فلنبدأ بأنفسنا

أعلنها ثورة على نفسك و لا تقل هكذا هو السوق و إنما ليكن شعارك هكذا هو العدل